بانسيه

عبير العطار

الطبعة الثانية

obeikan.com

كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

السيد حسن

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

المدير التنفيذى

هناء أمين

الطبعة الثانية
الكتاب : بانسيه
المؤلف : عبير العطار
تصنيف الكتاب :رواية
تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٤١٥٠ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 622 - 7

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : ketabtoyof@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

obeikan.com

إهداء

إلى بانسيه

حين تقضم تفاحة الحياة.

عبير العطار

obeikan.com

obeikan.com

بانسيه

كونشيرتو روائي للجمال والألم

هل يمكن للروح التى يرهقها الألم أن تحلق فى فضاءات الجمال، تراه وتتذوقه وتبتكره أيضاً؟

سؤال كبير تدعوك "بانسيه" لتجيب عنه بعد أن تنتهي من قراءتها.

تلك هى "بانسيه/ الرواية"، أما "بانسيه /الإنسانة" فهى ستطرح عليك أسئلة أخرى كثيرة حول ماهية السعادة وإمكانية تحققها، وحول طبيعة المرأة وغايتها، وحول ثنائية الإخلاص والخيانة، والوفاء والجحود، وعشق الحياة والهروب من قسوتها.

"بانسيه" الشخصية المحورية فى الرواية، روح فريدة محلقة فى فضائها الرومانسى الخاص، باحثة عن الجمال فى الطبيعة وفى الطرز المعمارية وفى المشاعر

obeikan.com

الإنسانية، لم يكن من قبيل المصادفة أن تتخذ اسمها من اسم تلك الزهرة الرقيقة الناعمة التى يملؤها شجن شفيف، فزهرة البانسيه تنتمى إلى عائلة البنفسج بكل ما اشتهر عنها من قدرة على منح البهجة رغم اتسامها بلون شفيف من الحزن، يشبه ذلك الحزن الذى وصفته يوماً الروائية الفرنسية "فرانسواز ساجان" فى روايتها الشهيرة "مرحبا أيها الحزن"، ومن ناحية أخرى فهى تتخذ اسمها من كلمة فرنسية تشير إلى التفكير الحالم أو التذكر المحب، حتى إن أسطورة خاصة قد حيكت حولها، تقول إن آدم عليه السلام حين طاف بالجنة كان ينادي كل زهرة باسمها، ولكنه لم يلتفت إلى هذه الزهرة الرقيقة الحالمة الوديعة التى لاتكاد العين تبصرها، فنادت عليه لتسأله "هل تذكرني" وكان قد نسي اسمها فقال ليكن اسمك "تذكرني" وهو ما يشير إليه الاسم الفرنسي "بانسيه"، ومازال هذ الاسم يطلق عليها حتى اليوم.

لم يكن مدهشاً إذن أن يكون اسم بطلة الرواية "بانسيه" وسط أسماء اعتيادية مثل عائشة ووجدي ونبيل وابتهال

وخير الله وغيرها، مع التأكيد على أن لكل اسم مغزى يتحقق بالموافقة أو بالمفارقة.

وهى شخصية يذكرنا النفس الروائي الذى يحيط بها - إلى حد بعيد- بشخصيات شهيرة فى أدبنا العربى، ربما أقربها إلى الذهن الآن "سلمى كرامة" بطلة "الأجنحة المتكسرة" لجبران خليل جبران مع اختلاف كبير فى تفاصيل الشخصية أو أحداث الرواية.

سوف تكتشف أن الشخصية المحورية والساردة العليمة وربما كاتبة الرواية ذاتها كلهن مغرمات بقيمة الجمال، فلا تعجب إذا وجدت وصفاً فريداً لجمال ذلك الفندق الذى يسكن قلب لندن، أو تلك "الفيلا" التى تسكن قلب القاهرة، أو ذلك الوادى الذى يسكن قلب مصر دون أن يلتفت كثيرون إلى جماله الفريد، أو ذلك البيت الأثري البديع الذي يحوي عبقاً تاريخياً فريداً ، بكل ما يبعثه في النفس من جمال وجلال، وكأن الكاتبة قد آلت على نفسها أن ترينا مصر التى لا نعرفها.

ثم إنك على المستوى الفني للكتابة سوف تجد الروائية مغرمة بالانتصار للجمال اللغوي، واستنطاق اللغة

العربية أجمل ما فيها من إيقاعات، ومن قدرة على التصوير الفنى الجميل؛ لأنها تنحاز إلى لون من الكتابة الشعرية التي تدعوك إلى التمهل فى قراءة أحداث الرواية وعدم اللهاث وراء هذه الأحداث، فهى لا تسمح لمشهد بأن يمر ولا لإحساس بأن يعبر دون أن تتعمق في وصفه وصفاً شاعرياً جميلاً، وهو ما يهديء من إيقاع الرواية فى كثير من الأحيان انتصاراً للشعر والجمال اللغوي معا، ويدعوك أحياناً إلى أن تتمنى لو اقتصدت الروائية فى هذا التصوير الشاعرى لأنك متلهف لرؤية ما تصير إليه الأمور.

راوحت الروائية بين استخدام ضمير "هي" على لسان الساردة، وضمير "أنا" على لسان بطلة الأحداث فى تنوع لطيف، كما استخدمت أسلوب استدعاء الماضى أو "الفلاش باك" بطريقة تنم عن خبرة فنية جيدة، بحيث كانت تمزج بعض المشاهد بحرفية شديدة، منتقلة من الحاضر إلى الماضى أو العكس، فلم تعتمد البناء الخطى للزمن، وإنما كانت تتنقل فى الأزمنة جيئة وذهاباً وفق ما تقتضيه الرؤية الروائية، وهنا أشير إلى تتابع مشهدي جميل، تحكى فيه الساردة عن محاولة البطلة الانتحار

فى الماضي، وتمضي مع تفاصيل هذه المحاولة، حتى نجد البطلة تفيق، لكننا نكتشف أن هذه الإفاقة لا تخص الماضي وإنما تخص إغماءة مختلفة تماماً التى انتابتها فى الحاضر، وذلك فى مزج مشهدي جميل.

قد توحي لك كلماتى بأنك أمام رواية مغرقة فى الرومانسية إلى حد الانفصال عن الواقع العام، ولكني أسارع إلى لفت انتباهك إلى أن الرواية لم تخل من الظهير التاريخي السياسي الواقعي، ممثلاً فى الاجتياح العراقي للكويت فى أواخر الثمانينيات، وهو الحدث الذى كان بمثابة الزلزال لا على مستوى الوطن العربي فحسب، بل وعلى مستوى حياة "بانسيه" وحياة أسرتها بشكل خاص.

نعم أنت أمام رواية رومانسية تقوم على استبطان مشاعر الذات الإنسانية بالكثير من التشريح النفسى والتحليق الرومانسي، لكنك أيضا أمام طرح لقضايا واقعية أبرزها قضية العلاقة بين الرجل والمرأة، أو بالأحرى بين المرأة والرجل بكل ما ينبثق منها من ثنائيات حدثتك عن بعضها فى بداية كلماتي.

وحين نعرف أن هذه هى الرواية الأولى التى تكتبها أديبة لها مع الكتابة الشاعرية خبرات طويلة، فإننا نوقن أن أعمالاً روائية أخرى قادمة في الطريق، واثقين أن هذه الأعمال القادمة ستأتى أكثر انحيازاً لفن الرواية وأكثر اقتصاداً فى توظيف الروح الشاعرة فى بناء العمل الروائى.

الشاعر والإعلامى

السيد حسن

obeikan.com

في قبضتي سكين
يئست من الانتحار المبكر للأفكار
وفي قلبي رصاصة
مغتالة سلفا
وفي جوفي كلمات اختنقت
حيث لا موقع لها
والحريّة قدمت شكواها ضدي...
لتقيدي بفضائل المثل
والموت ملّ سكراتي
والروح عُلقت على منتصف الطريق
لاهي في باطن الجسد
ولا هي في سماء الرحمة
أما الدموع فاعتقلتها قسوة قلبي
كي لا أحصد الاتهامات
والنبضُ يستجير
هل الوجع إلى زوال؟
إذن..ماذا يفيد الكبرياء المعلق على جسد
امرأة؟

obeikan.com

في غرفة الانعاش

قاومت جهدها الموت لتفتح نافذة عينيها على سقفٍ مثقوبٍ من الحياة وبقايا آمالٍ مغشي عليها من الضياع ومحاليل حبٍ معلقةٍ على حوامل معدنية رديئة ووخزاتٍ في أوردتها الضعيفة تنقل لها ذلك الحب علّها تستعيد وعي الإنسانية وتسترد عافية الفكاهة التى كانت يوما تملؤها.

وبعد مرور عدة أيام تم نقلها إلى غرفة أخرى في المستشفى واكتشفت أنها العائدة من الموت للمرة الأخيرة ، ما الذي حدث؟ سؤال واجهت به نفسها الضائعة بحثًا عن إجابة، وتلفتتْ حولها لتجد نفسها وحيدة في غرفة صغيرة، لها باب يتسع للخروج الجسدي الممهد للحياة ونافذة أشبه بسجن كبير لكنها أضيق من نظرتها التفاؤلية للمستقبل.

كانت الأنوار خافتة وضجيج السكون هو الذي يزاحم الهواء ولا تعلم عدد المارين والمتعاقبين على غرفتها لكن النهاية المؤكدة أنها وحيدة، كلٌ ذهب لاهثا وراء مصالحه المعطلة، وكذلك هي عودتها (رحلة حياة معطلة) .

وفي لحظة من لحظات زمن إدراكها فُتح الباب لتجد نوراً مزعجًا مقتحمًا المكان تبعه رجل برداء أبيض ثم قبيلة من النساء مكتنزة وقصيرة ببدلةٍ وردية.

- حمداً لله على سلامة الوصول أنا دكتور أحمد منصور، وما نحن بصدده اليوم هو إعجاز رباني رغم أننا بالأمس قد حصلنا على توقيعٍ موثقٍ من إخوتك على أنك متوفاة وسنرفع جميع الأجهزة والمحاليل.

اعتدلتْ جالسة بصعوبة وأبصرَتْه سحبًا بيضاء لا تستطيع تمييز معالمه سوى أنه يرتدي نظارة سميكة تحجب ما خلفها، وتركيزها مفتقد تحاول أن تستطلع

مرة أخرى ما قاله، لذا جاهدت لسانها الصامت وكأنها لم تع ما قيل:

- من أنتم؟

صورةٌ اعتيادية تحدث آلاف المرات في كثير من المستشفيات حين يكتب للمريض امتداد لعمره عدا تلك التى حاول إيقافها بنفسه.أعادت بصوتها الواهن المرتجف وكأنه من قاع الخوف آتٍ:

- من أنتم؟

إن التركيز عندها يواجه عاصفة من التشتيت حتى أنها لم تميز يوما سوى الألوان التى اعتادت حبها، لكن اليوم كل الألوان تحولت عندها إلى سواد وسقطت على وسادتها مغشيا عليها.

هل عادت لغيبوبتها مرة أخرى أم ماذا ؟ سؤال تناوله الجميع من أطباء وممرضات واندفعوا مسرعين بعد إعلان حالة طارئة.

obeikan.com

إن تناوب الأوجاع على روحها يكمن ما بين صعود وهبوط لتقف على بعد مشهدين مما يحدث، فهل عليها أن تسأل المسافات أن تقترب وتعترف لها بالذكريات، أم تسأل الزمان كي يكف عن الدوران لتتيقن من ماهية وجودها على بقعة الحياة، أم عليها أن تسأل الجراح كفكفة الدمع إذ أُسقط سد الأوجاع، وانهارت عليها التفاصيل التى لا تحتملها.

obeikan.com

الاستفاقة

رويدا رويدا بدأت تستعيد وعيها الذي طالما هربت من مواجهته وعلى ضفتي عقلها لا تزال الأحداث مرتبة ومبرمجة ببطء، لكن بكل تفصيل رغم الوهن الذي أثقل عقلها من كثرة الأدوية والمهدئات التى ابتلعتها.

زارتها عائشة في المستشفى، ودخلت لتراها، لكنها لم تستطع الكف عن مصمصة شفتيها، ربما شفقة عليها أو تندرا من تصرفاتها، طالعتها قائلة:

- انظري إليّ جيدا .

في عشوائية الرؤية بدأت تنشط ذاكرة بانسيه، فكيف لها أن تنسى هذا الصوت الرديء المملوء بالحقد والكراهية، فهي امرأة استطاعت الحصول على الدكتوراة والزواج مبكرًا، أما عائشة فلا تزال عانسًا تتنقل ما بين هنا وهناك دون أية أهداف.

فاقتربت منها عائشة مرة أخرى وأعادت بصوت خفيض:

- هل تعرفينني؟ أنا أختك عائشة.

وفي دهشة صامتة كانت تريد أن تؤكد لها نعم أعرفك وهل مثلك يُنسى؟! لكن لسانها أبى الاستجابة لها.

لقد مالت بعدها على رأسها تريد سكب أكبر قدر من المعلومات المغلوطة كي تصدق أوهامها، وهي متشككة من صحة ما يقال، تحاول أن تستنهض التفكير، وتستجمع قوى العقل كي تفهم، فهزتها عائشة لتركز معها لكنها توجعت وهي تقول :

- انظري معي لتلك الصور.

أبصرتْ مجموعة الصور لتوهمها بأسماء غير صحيحة، وذكريات ليست على يقين من واقعيتها، فهي لم تفقد ذاكرتها بعد لكنها متعبة ومجهدة من آثار ما حل بها، وما أعقب محاولة انتحارها من غسيل

للمعدة ومضادات للمهدئات التى تجرعتها بحثا عن خلاصٍ وهمي، وعلى الرغم من ذلك فهي على يقين من مُر تواجد أختها في حياتها كقنبلةٍ موقوتة لا تريد الانزياح.

وعليه فقد تركت لها فرصة الحشو الزائف الذي تبتغيه ولكن في غرفةٍ أشبه بالصندوق الأسود.

وعاد السؤال يتردد على لسانها:

- ماذا يصنع الجهل بأصحابه سوى إسقاط أحقادهم على طاولة القربى؟! ما أهمية هذا الحشو ؟

تركت عائشة مجموعة الصور جوارها ومضت غاضبة .

إن الزمن يجري حثيثا نحو الانتهاء لكنه عند بانسيه لا ينتهي، غادرت غرفتها مع أول إطلالةٍ للشمس تراها بعد غياب تجولت وحدها في أروقة المستشفى متيقنة أنها هنا لسبب ما قامت به بإرادتها الشخصية، فهل حاولت الانتحار حقا ؟ ما الذي حوّل تلك الطاقة

السلبية الكامنة في روحها لتعلو على سطح الواقع وتتحوّل شرا تؤذي بها نفسها الجميلة؟ هل الحياة تستحق الموت؟ أم الجسد الذي إذا غضبت عليه الأقدار يتحول إلى ذراتٍ تراب مدمجة بسطح البشرية الغافل ليتفاعل على أنه حيّ لا يموت؟

مع نهاية مشوارها في أروقة المستشفى، وصلت أخيرًا إلى الحديقة، ورغم الإحساس الكامل بالتيه المستشري بأنحائها إلا أنها المتحدية دوما لتقاطع الزمان مع المكان لتخبر البشر عن فروق التوقيت في حياتها.

ظلت في الحديقة ساعات وساعات لا تفعل شيئا سوى تأمل التفاصيل وتركيب احداثيات الحياة على طول الزمن الذي مارسته متمحورًا على المكان الذي يوما سكنته، نظرت طويلا للشجرالمحيط بها واستوقفت نفسها عند شجرةٍ عتيقة، مر عليها بالتأكيد العديد من المرضى ليستظلوا تحت أوراقها وقلوبهم ملأى بالحكايا والقصص، ويعبر عليها جيش من

النمل المنتظم في هدوء بعيدًا عن ضجيج البشر وتلوث الأفكار، وسألت نفسها:
- ألا يملّون الصعود؟
نظرت نحو الشمس ، وأكملت:
- لقد أوشكت الشمس على الرحيل ويُخيل لي أن السماء تُمطر دمًا من جريمة قتل النهار بيد ليلٍ ظالم يريد أن يقتص لنفسه زمنًا يسع الكون، فلِم تتصارع الأزمان على أقدراها؟
ظلت بانسيه مع غيبوبة أسئلتها حتى فزعت على شخص ما يربت على كتفها، ولم تكن سوى إحدى الممرضات:

- حان موعد العودة لغرفتك.
- هل العودة لغرفتي كعودتي للحياة؟؟
لم تفهم الممرضة مغزى قولها، فقط ساعدتها على النهوض وجاورتها في رحلة العودة للغرفة بسلام.

انتصف الليل، وما زالت مستيقظة متنبهة تعوض الأوقات التى استهلكتها في الغيبوبة رغم كل شيء، وجلست تتأمل غرفتها التى غزاها ضوء فضي من النافذة اليتيمة، تلك النافذة التى تتناقل الماضي

والحاضر وربما المستقبل على جناح الضوء، ذاك الأمل الذي دوما ما يعيدها للحياة في لحظة مفقودة لا تستوعبها كثيرا، لكنه يعطيها فسحة من التفكر لتستنتج هدف وجودها على كوكبٍ يضج بالغموض.

واجهت نفسها بصوتٍ منخفض:

- لن أكتفي قولا بأن الشدائد هي فيصل الحقيقة، واللحظات الفارقة بين الموت والحياة هي فيصل حتمي ما بين المكسب والخسارة، ولكن كم عدد المرات التى حاولت فيها والخلاص لم يحاول معي جاهدًا، لذا أظن أنه لا يزال لي في قائمة الحياة لحظة انتظار مفصلية لا تسمح بالتراجع.

كل أفكاري ليست جديدة ولا حتى قديمة ، هي مجرد صراع أزلي على سر انتقاء الله لي في هذا الكوكب، وسر تواجدي الحتمي المتصارع على اللاشيء، لتكون النهاية الأولية فيصلًا، والنهاية الأخرى فيصلًا ممتد الأزل.

توجهتْ فجأة نحو النافذة وأصرت على فتحها، رفعت رأسها للسماء لا لتستنشق الهواء العليل بل لتقتص حقها من ضياء النجوم، فهناك دوما نجمةٌ ما نتنظر أسئلتها ، وأخرى تهديها الإجابة.

obeikan.com

الخروج

أخيرا جاءت عائشة لتخرجها من المستشفى، بعد حصولها على موافقة خطية من الطبيب تفيد أنها سليمة صحيًا، ولكنها بحاجة إلى فترة هدوء ونقاهة لتستعيد نفسها من جديد، ونصح بعرضها على طبيب نفسي لتتجاوز الأزمة.

توجهت عائشة إلى غرفة بانسيه في المستشفى تساعدها في إعداد نفسها للخروج حتى وصلا باب المستشفى :

- مستعدة للخروج؟
- كما استعدادي للخروج من الحياة.

ارتعدت عائشة من إجابة أختها الصادمة، تُرى هل ستكررعملية الانتحار؟ هل هي غير جاهزة للعودة للحياة والتعايش السلمي مع البشرية المحيطة؟

obeikan.com

سؤال كتمته عائشة في نفسها لحين الوصول إلى بيت بانسيه لتفتح هذا الملف لاحقًا مع أخيها وجدي.
أقبل أدهم، الذي يرتدي بدلة سوداء مع قميص أسود، ويعمل سائقًا خاصًا لزوجها منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، فتح باب السيارة ليجلسا سويا في المقعد الخلفي، ثم تولى مهمة رجوعهما إلى المنزل، وقاطع السكون المخيم على الأجواء صوته:

- حمدًا لله على سلامتك سيدتي بانسيه ، كلنا كنا نعيش لحظات القلق وابتهلنا لله أن تعودي سالمة.

- شكرا لك أدهم.

تنهدت بانسيه بعمق متسائلة:

- عائشة.. لِم الطريق طويل؟ كل لقطة ذهنية تمر بي أجد حقبة من العمر قد مرت، وكثيرة هي اللقطات التى تجاهلتني وهي في طريقها لبقية البشر. كم هي الدنيا قاسية على مخلوقاتٍ طينية متعجرفة، ولا أدري كيف تتمادى الأزمنة في تحويل النفوس المتحررة الأنفاس إلى حجارةٍ تتنفس، مما يعني ويؤكد أن الخير الذي يسري في أعماقنا هو أحد

أسباب حيويتنا، وإذا استقر الشر في أعماقن، فإنه لا محالة قد ساهم في استرشاد التحجر إلى قمة الوصول لنقاطه المحفزة للألم .

عائشة وقد علت الدهشة كل تفاصيل وجهها:

- بانسيه أرجوكِ اصمتي قليلا فالصمت حكمة، أنت للتو عدت للحياة، وأنا لا أتمكن من التواصل مع أفكارك ولا فلسفتك المبهمة، التى ربما سيطر عليها عنصر الغرب، هيا اهدئي قليلا.

علا ثغر بانسيه ابتسامة رقيقة وواهنة:

- ياه ، ماهي الأعداد الناجية من أمثالك عائشة؟ أنت من محطات الفكر المتوقف على موجةٍ بالية، لا هي أسعدت نفسها ولا هي قامت بتغيير التردد ، أما أنا فمحطاتي مشفرة .

- انتهينا بانسيه.... أرجوك اصمتي الآن، ها قد وصلنا البيت تفضلي بالنزول.

هرع أدهم بفتح الباب لسيدته، وساعدها في النزول حتى أوصلها الباب، وترك بقية المهمة لعم سعيد

النوبي الذي اختارته بانسيه ككبير للخدم في الفيلا، أما عائشة فقد أسرعت خطاها لتدخل قبلهم.

احتضنت أركان البيت تواسي وحدتها المعهودة، لا اضطراب في عواطفها غير تلك التى تعمل على ارتفاع ضغط الحب، تسرق من تفصيلته ذكرى لها كانت مع الأحياء.

هاهم غادروا وانتقلوا وهي تستكين في مكانها تأبى الرحيل، ربما لأن الأماكن أوفى من البشر، أو ربما لأن الطقس السائد في الأجواء هي أمطار المودّة المُجهدة من الانفعال أو قسوة الحقائق في تفهم العواطف المتقلبة.

فكل شيء يتغير بمرور الزمن المسموح له بالعبور خلال مسامات الجسد ودقات القلوب،ويشهد قلبها هذا التغيير في صمتٍ تام ولا يقوى على التعبير إلا إذا تجلطت الإحباطات في ركن ما بين الأذين والبطين، فكم هو شعورٌ مكتسٍ بالاستياء حين تتسلط الظروف والضغوط على نبض البشرية الحائر.

التفتت بانسيه باحثة عن عائشة تناديها بعدما طالعت كل أرجاء البيت المفتقدة :

- عائشة، أتخيل الحياة لو أسفرت عن إنسانية هرِمة بلا تجديد سيُصبح مصيرها كجذوع الشجر المنساقة إلى محل التوابيت، أليس كذلك ؟
- لطالما ترددين كلامًا مبهمًا، أتمنى لو راقبتِ نفسك التى تسقط دوما من قائمة تصرفاتك اللا محسوبة لعلي أفهم بعد ذلك مقصدك!
- الحياة هي الحقيقة الوحيدة المبهمة في سِجلّ تعريفاتنا ودوما ما أجدني على مدارٍ لا يتصل بك وعجبًا أننا أخوات جئنا من أبٍ واحد وأمٍ واحدة .
- الحياة أن تعيشي ذاكرة شاكرة ولا تتفوهي إلا بكل ما هو محسوب لك لاعليك .

عاد التوتر يملأ فسحة الفضاء الذي يجمعهما و بانفعال ردت بانسيه:

- الشكر موجود في تلقائية تصرفاتنا تجاه الآخرين، وفي أعمالنا الحسنة الخفية، ولا ضرورة لأن تلبسي

ثوب العابد الناسك وقسرًا تلبسينني ثوب الشيطان، من منا لا يخطيء، المهم أن نتدارك الخطأ، نعترف به ونصححه.

- لا فائدة منك، أنت فعلا مجادِلة مرهِقة، سأذهب للمطبخ أتابع تجهيز الغداء وبعدها تأخذين دواءك الذي قرره الطبيب وترتاحين، لابد لك من راحة ذهنية، أنت تدمرين أعصابك، أعطي عقلك فرصة للاسترخاء.

تركتها عائشة وانصرفت وهي صعدت للدور العلوي في الفيلا حيث غرفة نومها، دلفت بسرعة وراحت تتحسس سريرها وكأنها تبحث عن شيء مفتقد، ارتمت عليه وزفرة طويلة خرجت منها بكل ألم، ثم رفعت الغطاء وغطت في نوم عميق.

حين تأكدت عائشة من صعود بانسيه لغرفتها لم تتوجه للمطبخ، ولكنها صعدت هي الأخرى إلى الغرفة التى حازتها لنفسها لتسكن مع بانسيه في فيلتها الجميلة، فغرفة بانسيه على شمال السلم الصاعد، ولكن غرفتها هي كانت في نهاية الرواق.

عائشة فرد حقود، غلب حقدها طيبة عائلة بانسيه بكل المقاييس، فهي ترى أن أختها جُنت، فلمن ستترك كل هذا الثراء وهذه الفيلا والسيارات الفارهة؟! وبدأت في تغيير ملابسها، لكنها لم تخلع ثوب حقدها أبدًا، بل على العكس أكملته بلبس رداء الحب المقنع استعدادًا منها لمرحلة جديدة تستطيع فيها السيطرة على بانسيه، فهي الآن مصدر الدخل الوحيد لها.

استيقظت بانسيه، لا تعلم عدد الساعات التى غابت فيها عن الحياة، تقلبت عن يمنيها تطالع ساعة الحائط المعلقة أمامها، لم يكن الوقت في هذه اللحظة يشكل فارقًا، لذا فقد رحلت في غيبوبة التفكير المعهودة ليتفجر من السماء مطر أسئلة النفس التى لا تنتهي:

- هل كُتب عليَّ ألا أغادر هذه الأرض بإرادتي وأظل بعد كل تلك التجارب والعمر الذي مضى حبيسة عاداتٍ بغيضة وتقاليد موؤدة؟ هل كل الخطوات

الحادثة رغم الموت الذي يحيط بي يحمل أملا في هدف جديد؟ ما هذا التفكير الأصم الذي لا يحيل أسئلتي أبدًا إلى إجابة؟

تنهدت بعمق، ونسيت أنها تتضور جوعًا، ولكنها لا تقوى على القيام.

وجدت ابريقًا من الماء جوارها على "الكومودينو"، صبت كأس ماء لتشربه ونثرت بيديها كل شرائط الأدوية الموجودة في حقيبتها بحثًا عن هروب في قرصٍ صغير.

ابتلعته وتجرعت الماء ، أدارت ظهرها للحياة كما اعتادت أن تفعل لتحاول أن تنام نومًا عميقًا مرة أخرى، لعل في الأحلام الخائبة فرصة كي ترحل معها، ولكن عقلها لم يستسلم هذه المرة بسهولة وبدأت صراعا جديدا بنبرة صامدة:

obeikan.com

- ها قد أطفأت كل أنوار الانتظار بعد ما طوى قلبي فكرة القدوم، تقلبتُ احتراقًا، والليل قد توقّد جمرًا من فرط حرارة لهفتي لهدوئي الذي افتقدته .

اعتدلتْ، و أشعلتْ موسيقى هادئة كي لا تستعر مشاعرها، و تأملت تلك الصور التى تركتها جوارها عائشة في المستشفى مع أول زيارة والتى تناثرت مع شرائط الأدوية من حقيبتها، وككل مرة تختلط لديها الذكريات لكن عادت تذكر لنفسها:

- ياه هذه صورتي وأنا في الخامسة، كنت من المتميزين في مدرستي، وكيف أنسى؟!

هذه مُدرسة الحساب، كانت تحبّني جدًا؛ لأنني دومًا ما أُطيع أوامرها دون تردد، كنت مصدر سعادة للجميع فأنا دومًا ما أتفوق وأجلب لمَدرستي الفخر والاعتزاز من الإدارة التعليمية.

هذه صورتي مع أبي، كم كنت مدللة يا أبي رغم انشغالك عني، وهل أنسى كفاحك المستميت في غابة من عمل لا أراك إلا لدقائق معدودة قد تكون صباحًا أو مساءً، وربما ينالنا الحظ لنحظى بوجبة

عائلية جميلة، كل ذلك لتوفر لنا طيب العيش وأنت المحاضر القدير في جامعة الكويت.
يااه لقطة منفردة لأمي التى كانت تدير حياتنا بالصمت والنظرات، وكأن الكلمات اختنقت في حلقها منذ زمنٍ بعيد، تعرف واجباتها نحو الجميع كنحلةٍ دؤوب لا تكف عن العمل، تنام قليلا وتصحو كثيرًا، وأرى دومًا في عينيها ما يؤرقني، فالحزن يزحف تدريجيًا حتى امتلأ الرأس شيبًا ولكن ماذا عني أنا وهي؟
بانسيه وقد أسندت ظهرها على حافة السرير مبتسمة:

- لِم لم تحضر عائشة صورتنا بعدما قمت بقص شعرها بعشوائية من كثرة مقالبها، فأصر والدي أن يلتقط لنا صورة ذنبٍ أبديّ لتعلم كل واحدة أن الجُرم لا ينسى من كتاب عقابه، لكنه عند الله قد يمحى.
وتلك الصورة الجميلة التى تجمعني بوجدي أخي الصغير الذي كان دميتي المفضلة أين هي؟ فلصعوبة التواصل بيني وبين عائشة كنت أعتبر

وجدي هو نافذتي إلى الحياة رغم كل سلبياته وضعفه لكنني أحبه كثيرًا.

أجهشت بانسيه ببكاءٍ طويل :

- ماهذا الذي فعلته بنفسي؟ ألا يكفيني ظلمة الانتظار بل وأضفت عليها ظلمة قلبي؟ أين والداي؟ أين طفولتي التى دُبحت على قارعة الشباب؟ أين شبابي المغدور في وثيقة زواج متطرفة؟ أين أنا الآن؟ ولم كل ذلك يحدث؟! لم أرهق ذاكرتي بتلك الطفولة التى انتهت؟

obeikan.com

الحياة من جديد مع عائشة

كعادتها في التذمر أسقطت في يد الزمن احتياجها الرهيب لحضنٍ من مُروج الحب، وتنازع في قلبها فكرة أن الألم لا يعيش إلا في صدر النفس ذاتها مهما بلغ اهتمام المحيطين .

لعنتها ولعنت من أنجبتها تلك الغيرة التائهة بين المسافات الجادة وبين نفسها، وتسرب إلى الغيرة فكرة التوحد مع الحقد، لتُنزل على العائلة هالاتٍ متخلفة تتذر بالإقبال على إعصار ساحق لمجون الخيال الذي لا أبعاد له ولا حيلة، سيق من جهلها عالمٌ كفيف يتحسس الجمال، لكن لا يراه، فلا يعرف كنهه، فتبقى النفس في مدارات الوجع ثابتة، لا تعلن عن رغبتها في التغير، ولا الوثب على مداراتٍ أخرى أكثر استقرارًا.

هذا ما يدور في عقل بانسيه، وهي تحاول ارتجال العيش لأن نصيبها العودة للحياة برفقة عائشة.

لم تكن عائشة لتضيع فرصة حوار حين التقت مع بانسيه على مائدة الطعام لتتصنع الاهتمام والحب:

- الآن أصبحت الفيلا التى كتبها باسمك نبيل مكانًا رائعًا للعيش، فلماذا كل هذا التعذيب الذي تعذبينه لنفسك بانسيه؟ راجعي ما يدور حولك، كل النعم في حوزتك ولم يُنتقص منك شيء، حاولي أن تكفي فكرك عن الانشغال، وتعيشي عيشة هادئة مستقرة، الأمور في الحياة لا تؤخذ بطريقتك العنيفة ولا فيها كل هذا التشدد و تلك الحساسية، ابحثي عن عمل يشغلك، ألست من تقولين إن للإنسان رسالة وهدفاً وتعيبين علي الفراغ، لربما الفراغ الذي تعيشينه هو أحد الأسباب فيما يحدث لك؟

نظرت بانسيه لعائشة في صمت وتجاهلتها محتسية الشوربة التى قدمها سعيد ضمن قائمة طويلة مما لذ وطاب من الطعام، وتذكرت كل أفعالها الشنعاء حيالها، ويالللأسف هي من تنصحها الآن، وهل

يتوجب عليها إجابتها أم تحاصر نفسها بوجيعتها التى لا تنتهي.

عائشة وقد أصابها صمتها بالضيق الشديد:

- لماذا لا تجيبينني؟ هل أنا مخطئة بنصيحتك؟ دوما ما تنسين أنني الأكبر سنًّا، وعليَّ يتوجب نصيحتك، حاولي أن تتسامحي وتقدري ظروف الغير وتتلمسي الأعذار، فأنا لم أسافر عبثًا كنت بحاجة إلى البحث عن ذاتي، هل جال بخاطرك يوما ما يؤرقني أو يوجعني أم أنك دوما ما تفكرين بنفسك؟ أليس لي الحق في أن أرى العالم الخارجي أعيش مالم أعشه وسطكم، أنا بلا أي شيء، المال الذي حصلت عليه هو الشيء الوحيد الذي أذاب قليلا من أوجاعي وأنساني ما أنا فيه.

- عائشة... أرجوك أكره رواق المبررات، الذي تجولين فيه بحثًا عن حقيقة تصرف مُرٍّ قمت به أنت ووجدي، لو لم أكن متسامحة لما وجدت لنفسك مكانًا في بيتي، الحاجة إلى الشعور بالأسرة كاحتياجنا

للأكل والشرب بصورة أو بأخرى، والمعاملات المختلفة وصلة الرحم هي التى تربطني بك، لم أفعل مثلك ولن أصبح مثلك، كما أنني لم أتخل عن أحد منكم، لماذا تتناسين مساعدتي المستمرة لك، أخبريني كيف كنت سندًا لك بعد حصولك على الثانوية العامة وكيف حاولت جاهدة رغم صغر سني أن أكون لك أختًا وصديقة، لكنك تعاليت علي وأشعرتني أنك لا حاجة لك بأحد؛ لأنك الأخت الكبرى، لا يوجد بالحياة من أفسد علاقتنا سواك، انظري جيدًا لكل تصرفاتك الهوجاء وأنت التى تتهمينني بأنني لا أفكر سوى بنفسي ، حياتك عبارة عن كذبةٍ تلو الأخرى، فشلٍ تلو الآخر لذا اتركيني وحدي أرجوك... نادت بصوتٍ عالٍ:

- سعيد، سعيد.

حضر سعيد على عجالة من المطبخ :

- نعم سيدتي.

- ارفع مائدة الطعام وقم باللازم.

بنظراتٍ حزينة تابع سعيد سيدته وهي تصعد لغرفتها منكسرة، ليس كعادتها، رغم ما مرت به من ظروف أكثر قهرًا، ثم أمر بقية الخدم ليقوموا بانهاء عملهم وسط دهشة عائشة التى تأكدت من أنها غير مرغوب بها ولكنها لم تستسلم.

obeikan.com

الغزو

صلتْ الفجر حاضرًا رغم نومها متأخرة، وظلت تنظر للسماء تتأمل فكرة انشقاق الضوء من الظلمة من شرفتها المفتوحة قبالتها، قرأت لوالدها رحمه الله الفاتحة فاليوم هو ذكراه الخامسة عشرة، وأغمضت عينيها لتتذكر ذاك الشروق الغريب الذي قبيله وقبل أن تمتليء الدنيا بأصوات العصافير، كانت هناك أصوات غير مألوفة تقطع الصمت الذي يملأ الكون لتحيل اللوحة إلى غيوم سوداء.

استيقظت على صوت أبيها وهو يهرول بين أرجاء البيت، ذاك الرجل الهاديء الطباع الذي يستحيل أن تشعر بمقدمه أو غيابه، كان صبغة الحنان في أرواحهم جميعا، طالعته باستغراب:

- مابك أبي؟

رأته وقد علا وجهه صفرة غريبة تنبيء بأزمة:

- بانسيه... البسي ثيابك سريعًا، سوف نغادر المنزل، الجيش العراقي قد هجم على البلاد، وشيء ما يحدثني بأن الأخطار تحوم حولنا.
- كيف ومتى حدث ذلك ولماذا؟
- لا وقت الآن للحوار، فقط هيا وبسرعة.

فتح أبوها المذياع ليسمع استغاثات قادمة عبر الأثير إلى الأمة العربية لنجدة أهل الكويت، ماهذا الكابوس الذي هم فيه؟ عاد أبوها ليقول لها:

- أسرعي بانسيه، فلم يتبق غيرك، ولا وقت لنأخذ أي شيء، الجميع مستعدون للمغادرة، بسرعة أرجوك.

على غير الاعتياد غيرت بانسيه ملابسها استعدادًا لمغادرة المنزل، أم تراهم سيغادرون الحياة، كيف ستترك هذا البيت الجميل الذي يطل على البحر؟ أين ستترك مزروعاتها الجميلة التى تملأ المكان؟ كتب السنة التمهيدية للماجستير في الهندسة؟ ملابسها المنتقاة بعناية من ماركاتٍ مختلفة.

ودّعت كل شيء، وسريعًا ألقت بنظرها عبر النافذة لترى الدخان المتصاعد بطول الشاطيء لتتعالى الأصوات المزعجة وتمتليء السماء بالسواد.

إنها طائرات الهيلوكوبتر تحوم حول الأماكن بحثا عن مهبط لإنزال الجنود.

هرعت إلى والدها تقول:

- السواد أصبح صبغة السماء يا أبي وصبغة المستقبل الذي طُوي خلف نزاعاتٍ لا يد لنا فيها، لِم البشر هم دومًا قرابين الحروب؟

شد والدها السيد خيرالله يدها ليُنهي الحوار وأوصد كل الأبواب، ولم يكن يعلم إلى أين سيتجهون!

نزلوا سريعا من المنزل المتواجد في عمارة كبقية ما حولها الخاصة بسكن أساتذة الجامعة وسيل الرصاص ينطلق من كل الاتجاهات، كانت بانسيه وعائشة ووجدي يتمسكون ببعضهم البعض، يمشون

بمحاذاة الأسوار المغطاة للعمارات، ويد خير الله الشاهد في يد ابتهال والدتها .

لقد تبدد فجأة الإحساس بالأمان وقوت اليوم، والسؤال الملح على أفكار بانسيه هل المعافاة في البدن ستظل أم ستصيبهم أي من الرصاصات الطائشة حول المكان لينتهي الأجل.

الموت يحلّق بجناحيه في السماء، أما على الأرض فقد ركبوا السيارة وهم لا يعلمون أين وجهتهم القادمة، يريدون على أبسط الأوجه أكلا وخبزًا يأكلونه، فتوجهوا لأقرب سوبرماركت فوجدوه مغلقًا ثم إلى منطقة كيفان ظنًا أنها بعيدة عن القصف ليواجههم الحصار بالدبابات للمنطقة، فلم يعد هناك مأكل ولا مشرب ولا مخرج ولا مدخل، والأرض تهتز تحت أقدامهم كاهتزاز صورة المستقبل، الأشياء كلها صارت كالضباب المعبق بالواقع الصادم، ونبضاتهم كانت كالقنابل التى يسمعونها من حولهم يرتج لها الجسد بكل خوف وارتعاد.

وبصوت خافت وجهت بانسيه كلماتها المرتجفة :

- أبي إلى أين سنذهب؟
- لا أدري عزيزتي دعيني أفكر.

وجدي وأمي نظرا لبعضهما في صمت وكأنهما يرسلان شفرات دون أن ينبسا بكلمة واحدة.

ثم عائشة بصوتها الأجش العتيد تدخلت:

- لنهرب خارج البلاد أبي فلم يعد لنا أي شيء نتمسك به الآن.

اضطروا للعبور من منطقة كيفان بعد هدوء المدافع قليلا، وعلى سرعة منخفضة إلى منطقة ضاحية عبد الله السالم ليستعينوا ببعض أصدقاء الدكتور خير الله الشاهد القاطنين في إحدى (الفلل) الفخمة ليأكلوا معهم ويتقوتوا، وبعد مشاوراتٍ شملت أسرته وأصدقاءه اتخذ قرارا بالرحيل قبل فوات الأوان.

دخلت عائشة غرفة بانسيه لتجدها لا تزال على سجادة الصلاة، ووجهها غارق ببحر من الدموع،

وأيقظتها من شريط ذكرياتها، وقطعت أفكارها، و وقالت متهكمة :

- ألا تكفين عن البكاء ؟
- اليوم ذكرى والدنا، هل تذكرين؟

- رحمة الله عليه، تركنا بحسرةٍ على ما فقده من تعبه وكدّه في الغربة، لو صبر قليلا لعلم أن الخير قادم، وأن التعويضات كانت ستمنحه فرصة جديدة لكن الموت لم ينتظره.

- أنا أحدثك عن والدنا وليس عن المال والتعويضات التى أتتنا بعد فوات الأوان.

تذكرت المحاولات المستميتة للعودة والتأقلم مع وضع جديد بعد نزولهم القاهرة مفلسين، ومكافحات الدكتور خير الله للعودة للجامعة، فلم تكن أزمة الغزو قدر ما كانت أزمة ما بعده، والتهجير الذي أصابهم مع الكثيرين أمثالهم، فهل نسيتْ مناظر أكوام الجثث في الصحراء المترامية وعدم القدرة

على إنقاذ أحد وهم في طريقهم للهروب؟ النيران المشتعلة في (الفلل)، والارتعاد من قُطاع الطرق الذين يسلبون وينهبون، كل من كان في طريقه للنقطة الحدودية في الخفجي، والليالي الموصولة بالنهار القائظ من شهر أغسطس حتى العودة إلى الوطن بصعوبةٍ للإقلاع من نقطة صفرٍ مطلق، وفي مدارات البحث عن لقمة العيش مرة أخرى بعد كل هذه الغربة، ولولا الشقة التى اشتراها الدكتور خير الله لهم قبل عدة سنوات لما وجدوا لهم مأوى.

باقترابه من الستين لم يكن أبدًا يحلم بأن كل تحويشة عمره هناك ستتسرب من بين أصابعه كالرمال.

ما أصعب الغدر، ما أصعب الخيانة، وكفن الصمت في وجع الحساب!!

أعادت الذكريات الوجع في قلب بانسيه ولم تكف عن البكاء بل انهالت على عائشة بالاتهامات :

- لماذا لا تفكرين إلا بالماديات؟ ماذا عن ظهرنا الذي كسر بعد رحيله واستنادنا على جدارٍ منحنٍ؟ ماذا عن اليتم الذي يأبى أن يأتي بعده سلة من فرح؟ قد كبرنا يا عائشة ومات أبي ألهذا الحد أنت جامدة العواطف؟! ألا يكفيك ما فعلته لمصلحتك؟ كيف تسنى لك العودة للتواصل والعيش معي بعد كل ما فعلتِ؟ ألا يؤنبك ذاك الضمير الذي بات في صدرك بيانًا شتويًّا طويلا، من أنت بالله عليك؟ وكيف تستسيغين ما تفعليه من أجل المال، من أي طينة أنت؟!

تعالى صوت عائشة واتهمتها بأنها عاطفية بلا حدود وأنها متخصصة في استجلاب الأحزان:

- مم خُلقتِ بانسيه؟ ها أنت تقولين قد مضى سنوات كثيرة على رحيله، ألم تكفِ تلك السنين لإيقاف نزيف الوجع، ماذا صنع أبي بموته؟ تركنا نواجه قسوة الحياة وحدنا بلا رحمة، ذهب لراحة أبدية وتركنا في عذابٍ أبدي، لم أشأ أن أكرر ما حدث له أتفهمين؟

- كفي عن هذا الهراء، هذا الأب الذي تتكرينه الآن لم يكن أبدا قاسيًا، كانت كل أشيائه نحن، كان لا يملك سوى أمي وأنا وأنت ووجدي. لاتسقطي فشلك التام دراسيًا واجتماعيًا عليه، لم يكن بيديه أن يمنحك عريسًا تختالين به كيفما تشائين، أنت احتفظت بالمال ولم تكملي تعليمك، وأنا أنفقت كل ما في جعبتي لأكمل تعليمي ولأنال الدكتوراة. أنت التى ارتضيت التمطع بين أرجاء البيت لا تفقهين سوى الطبخ، هذا إن جاز التعبير بأنك تفقهين.... أنت من ارتضيت خنوعًا باستمرارك فيما أنت فيه وأنفقت المال يمنة ويسرة وحين أوشكت على الافلاس عدت إليّ بخفي حنين بعدما تأكدت أنك بلا مسؤولية، وأنني مصدر آخر لاستمرارك في الحياة. انظري إلى نفسك جيدا بماذا أفدتِ الحياة؟ وماهي رسالتك؟ هيا اذهبي واتركيني وحدي.

الذهول الذي ألجم عائشة بصدامها المتكرر مع أختها جعلها تسرع إلى غرفتها، دخلت وأغلقت

الباب وراءها ووقفت أمام المرآة وأطالت النظر فيها وتفقدت ملامحها، في الوهلة الأولى ظنت أن الخيلاء الذي كان يرافقها دومًا سيمنحها ثقة جديدة لا حدود لها، لكن ما إن تمعنت و تفصحت وجهها حتى تيقنت من انتشار التجاعيد التى قد علت بشرتها السمراء، والأبيض تخلل شعرها رغم محاولة إخفائه بالحناء فتحول إلى برتقاليّ يقترب إلى الحمرة ببشاعة وكأنها لم تر نفسها منذ وقت طويل هز ثقتها، فواجهت حقيقتها المنعكسة من المرآة:

ـ خمس وخمسون عامًا عجافًا رغم أني لم أحظ بالدلال كما ينبغي، فبوجود بانسيه فقدت كل اهتمام العائلة، خاصة أنها كانت جميلة متميزة بذهبية شعرها وعينيها الخضراوين وبياضها الشاهق ووجنتيها الحمراوين، أما أنا السمراء بينهم مجعدة الشعر متعثرة في دراستي دومًا لم يلتفت إليّ أحد. أين الأيام التى كانت تختصني أمي فيه بكل الألعاب والفساتين وأنا صغيرة وحدي قبل أن تحمل بأختي لتنفجر براكين الغيرة، تأكل مني حلاوة الدلال الذي

كنت أمتلكه دون منازع ، لا أعرف كيف أمحو ما بداخلي من مشاعر تنتابني على من أخذت مكاني، كيف أستر حقدي الموجوع حين فقدتُ الاهتمام؟

obeikan.com

الحرية

خرجتْ من باب البيت والسواد هو غمامة الحزن في عينيها الخضراوين، استهلت رحلتها بركوب السيارة وهي تجهل تماما أين تذهب، أشعلت الموسيقى جوارها ويدها على المقود ورجلها على البنزين وعقلها قد غرق في الأفكار يأتي ويذهب كما يحلو له، ربما تلعن وتسب الظروف وربما تتراجع عن سياستها المعتادة لكن الحقيقة الوحيدة أنها قد قررت ألا تفعل شيئا حيال ما تواجهه من ضغوط.

وحين استعادت ذهنها الغائب وجدت نفسها في رحاب النادي الذي ترتاده؛ إن قدميها قد اعتادت المكان فقادت السيارة إلى هناك لأنها لا تزال غارقة في ما يُعتمل في نفسها من أفكار، ففي كل مرة تتهيأ لاحتواء نفسها حتى تتوحد مع الحياة وترتضي قسمتها من العمر الطويل لتفاجئها الأفكار بالتحايل على كل شيء كي تنتهي هذه المره من الحياة

المحملة برائحة الموت كمنقوعٍ عطر مخلّق من فم الثعابين، لم كل الأحداث لا تنتهي إلا بواقع مرير دون بارقة أمل تخلصها من الأوجاع اللامحتملة؟ خرجت من أفكارها الغارقة لتعود إلى نبض الحياة الممل تستجمع كل الطاقات الإيجابية المعلقة على أوراق التقويم علها تجدد رمقها الأخير بعد تجارب مريرة مع الموت الذي يأبى أن يأتي؟

هذه الحياة تظل في نظرها كفندق كبير مملوء بالغرف المغلقة على أحداثها، والعشق هو التيه العظيم الذي يذهب بعقلها لوقت طويل لكنه لم يصادفها كما شكله لها خيالها.

وبكل ثقة توجهت بانسيه نحو حمام السباحة داخل النادي، تأملت الماء وأخذت قرارًا بالنزول إليه لتغتسل من آثام محاولتها الانتحار، أو لربما آثام من جعلوها تعيسة بائسة.

استغرقت في الماء ساعتين، لم تشعر أبدا بالوقت الذي مضى، غدت ذهابا ورواحًا بطول الحمام

وعرضه تفتك بالماء بسباحةٍ حرة لتحول الطاقة الدفينة بداخلها إلى انتعاش جميل يعينها على تجديد حياتها.

وأخيرا خرجت من حمام السباحة والتحفت المنشفة الخاصة بها لتفرد جسدها على كرسي الحمام لتستمتع قليلا بالشمس والهواء، تبددت قليلا متاعبها، لامت نفسها:

- كم أنا مذنبة، هل استحقت نفسي الغالية التفريط بها كي أُنهي ما لاينتهي أبدا؟ السنون التى مرت بتجربتي في زواج خادع أملا في أن يكون مثمرًا بأجيال قد تبخر، ونبيل لم يكن ليمهلني فرصة أكثر من الفرص التى اقتنصتها لمحاولة العلاج تحول في غمضة عين إلى وحش منتقم.

وفجأة قاطعت أفكارها باتخاذ قرار بالاغتسال، لبست ثيابها وانطلقت نحو المنزل.

الذهاب لطبيب نفسي

ضجت بانسية بالفوضى التى تعم مفردات الحياة حولها، وربما زيارتها للنادي جعلها تفكر في إعادة ترتيب حاجياتها، فصعدت لغرفتها الكبيرة وبدأت تعيد ترتب أدراجها المبعثرة، وهي لا تدرك أنها تصب جام غضبها على فوضى نفسها لتعيد إحياء المكان، ووجدت بطاقة موضوعة في المفكرة الخاصة بها، كتبت فيها اسم الدكتور النفسي الذي ذهبت صديقتها ياسمين إليه في يوم ما وارتاحت لجلساته.

نظرت طويلا إلى البطاقة وصارت تقلبها، وكأنها نسيت مفاهيم ومباديء القراءة أو كأنها تحاول اتخاذ قرار، ثم رفعت الهاتف لتحجز موعدًا.

خرجت من البيت، ودون تفكير استوقفت تاكسي لركوبه، وتركت السيارة؛ لأنها لا ترغب بأي

ضغوط تُسيّرها أو تراجعٍ يمنعها من الذهاب للدكتور ثائر عمار، كذلك كي لا يعرف أحد وجهتها خاصة عائشة، وتحت ضغط الزحام اشتعل الرأس بالتفكير تسأل نفسها:

- تُرى هل سيراني أحد؟ هل سأستطيع هضم فكرة الطبيب النفسي وأعترف به وبأهميته؟ هل كنت محقة حين صممت على الذهاب؟ وما معنى ذلك؟ هل أنا أحب الحياة؟ ماذا صنعت بي عائشة والتركة الأزلية من المخلفات الشرقية من التربية الرجعية بما أنا فيه الآن؟ هل اللوم عليها أم على من سمحوا لها بكل تلك الأفعال؟ لماذا لم أخبر ياسمين بكل ما حدث لي وتجنبتها في أحلك ظروفي؟ ماهذا الصراع الذي بداخلي؟ هل أنا منفصمة عن حقيقتي؟ هل أنا تلك الذات الرافضة للحياة والمعتنقة لدين الزوال؟ أم أنا الذات المقبلة على الحياة الساعية بجهدها وجسدها نحو من يستطيع مد يد العون لنفسي الضعيفة لينتشلني و يشهد إعادة صياغتي لأقاوم الاستسلام والهزيمة؟

وقفتْ على مشارف العيادة تعيد استقراء أحوالها لعلها تهدأ، مابال كل تفاصيل الحياة لديها ميتة وهي تحاول معها الإحياء بلا مبرر منظور، فكل الخلاصات كانت خطأ لأنها لم تتقن واجبها تجاه الموت، وهو يرفض تماما استقبالها في العالم الآخر فلم يحن دورها بعد.

التردد في حد ذاته فيصلٌ مهم لكنه يعوقها عن التقدم، فهل ستتخذ قرارًا حاسمًا تجاه تلك الحياة المفروضة قسرًا على نفسها؟ هل صدقًا تملك قرارًا يغير من تلك الترددية والسلبية الوقتية التى تطرفت بها عن حقيقة عزيمتها وصبرها؟ هل الأولى أن تسأل نفسها لم هي هنا أم أن بداخلها ما ينازعها الرغبة في أن تعيش عالما آخر غير ذاك الذي حاولت أن تغتاله بنفسها؟

إن مجرد خطوة واحدة للأمام ستُنهي أشياء كثيرة فهل تخاف الاجابة؟

مر على كل هذا الحوار الداخلي ساعة، وخرج أمامها العديدون ينظرون لها نظرة استهجان، فمَن تلك المرأة التى تقف شامخة على باب عيادة طبيبٍ نفسي، وعقلها سارحٌ في غياهب كواكب أخرى؟

تقدمت للممرض لتقول:

- حجزت موعدًا لرؤية الطبيب ثائرعمار باسم بانسيه خيرالله الشاهد؟
- نعم ... فقط سجلي بياناتك على هذا الطلب وتفضلي بالجلوس.

قامت بتسجيل بياناتها وقدمتها للممرض وسرعان ما خرج من بداخل غرفة الطبيب ليُقرع للممرض جرس للدور التالي فتوجه لها بالحديث:

- تفضلي

فُتح الباب سريعا فارتعشت مفاصلها وظنت أنها ستدخل قبرها لا عيادة الطبيب، وعلى ملائكة القبر أن يأخذوا أقوالها كشاهدةٍ على أنها كانت حية على هذه الأرض البائسة.

obeikan.com

من جلسات العلاج

ممددة على سرير المريض أمام الدكتور ثائر عمار بدأت تتحدث بانسيه:

- هذا العالم بكل مافيه يجبرك على تحري الوجع أينما ذهبت وأينما حللت، فالثمارُ لا تستطيع التخفي من الشجرة، بل على العكس تُثقل كاهل الأغصان، وأنتَ لا تستطيع إدراك ما يحوم حول الشجرة إلا إن استطاعوا تطعيم إنسانيتك بكينونة الخضار.

الوجعُ يا دكتور أن أنصت لمن قذف شجرتي المثمرة بالحجارة ظنًا أنه سيُسقط تلك الثمار على رؤوس ثقتي! كنت أقول لنفسي هيا أيها المغرد الحزين... هل استطاب الفجر الأخبار التى تتخفي خلف الغيوم؟ هل تماهى النخل بأسبقية الحضور لتوثيق الحدث ؟ كيف تطمئن إلى روحك التى فقدت أطرافها مع نهاية الخريف؟ كيف تُوغل في إسقاط خناجر الوشاية على جسدٍ لم يجرب يوما معنى

الموت لكنه قد مات سلفا؟ كم تُلقي الحياة على ذواتنا التائهة هباتٍ نتبّصر بها تساعدنا على فهم الأحاجي والألغاز؟ كم أطال الاندهاش انتظاره حين بُهت الذي فَجَر.

أجهشت بانسيه في بكاءٍ مريربعد كل ما سردته فاضطر الدكتور ثائر عمَّار أن يغرس في وريدها حقنة ثباتٍ وقوة من تراكيب كيماوية ساعدت على الاسترخاء .

أفاقت بعد مدة وتبينت أنها لا تزال في عيادة الدكتور ثائر ومتثاقلة سألته:

- ألم يحن الوقت بعد لإنهاء تلك الجلسة يا دكتور؟ ألم تمل الإنصات والاستماع لي؟ هل هناك فائدة مما نفعل؟ أو تظن أنني فكرت بالانتحار آملة في الخلاص، ربما كنت مخطئة فأنا لا أريد الخلاص من الحياة أنا ودون قصد مني أحبها، أجل سجل اعترافي، أنا أحب الحياة لكنني لا أطيق أن أتحمل العيش مع من لا يحبني والحياة لم تحبني قط.

- أريدك ان تسترخي قليلا بانسيه، وحاولي الصمت؛ فالبركان الذي بداخلك أوشك أن يخمد ، اهداي

- ومن قال إن البراكين إذا خمدت لا يظل بداخلها أوجاع؟ بالعكس إنها أوجاع محترقة تأدّت من فرط الكبت والسكوت، وحين خبت لا تندثر، بل تتناوب على الروح من وقت لآخر كلما تواجهت مع الضغوط المختلفة.

- أريد منك أن تذهبي بعيدًا الآن عما أنت فيه، حدثيني عما يفرحك.

تساقطت فجأة من عينيها الخضراوين دمعات كثيرة لتجيبه :

- ما يفرحني؟ سؤال وجيه في توقيت غير متوقع يا دكتور، أريد أطفالا يملؤون حياتي شغبًا وضجيجًا، أريد أن أكون أمًّا ولكن كيف وقد حرمت ذلك إلى الأبد.

- بانسيه احكي لي عن طفولتك... هل كنت مشاغبة أم هادئة؟ ولماذا أسماك السيد خير الله بانسيه، أليس عجيبًا أن يكون لأخوتك أسماء اعتيادية مألوفة واسمك بانسيه.

تنهدت بانسيه:

- تذكرني حين سألت والدي نفس السؤال وقد تندرت زميلاتي في المدرسة من اسمي فقلت له أبي لِم عائشة ووجدي و أنا بانسيه؟ فأخبرني أن تقاليد العائلة حتمت عليه أن يسمي أختي على اسم جدتي لأمي، وقد رضخ وتنازل بسهولة وسمى أختي عائشة درءًا لكل أوجاع وصراخ تلك التقاليد، وصار أبي يمنيّ نفسه لو أن المولود القادم بنتًا ليختار ما يشاء وقد كان، فمن بدايات الحمل بي أخبر أمي إن جاءت بنت أسميناها بانسيه لعشقه لتلك الزهرة، ولم يخفِ سرًّا أنه تصور لهذه الزهرة الطفلة روحًا جميلة بألوانها المتعددة كما قرأ، وعرف عنها أيضا بأنها زهرة الحب فقد أصر أن أكون بانسيه التى

يريد، فهو لم يعش الحب سوى وهما في قلبه، دفن نفسه بين الطلاب والكتب والمحاضرات، فأين ذلك الحب الذي يمكن أن يسير على دربه إذا لم يكن موجودًا أصلا، فالود والرحمة هي الأرضية المتوفرة للزواج التقليدي، أما مع حمل أمي الثالث فلم يعد والدي مكترثا بالتسمية، فأمي لم تتوانَ عن تسمية أخي وجدي على اسم أبيها، وهكذا التنازلات تبقى كالعقد المنفرط اذا سقطت منها حبة انهال بقية العقد على أرضية الواقع.

- وماذا عن أبيك معك؟ هل كان يدللك؟

- كنت أميرته ومعشوقته وطفلته المدللة بالطبع، كان يرى في عيني الدنيا ليس فقط لأنني أختلف عن أخوتي في صفاتي ولون عيني، بل لأنني أشبه والدته في طباعها الشركسية، فمنذ لحظة الميلاد وتمردي كان واضحًا كما أخبرني، فأنا لم آت بصراخٍ كبقيتهم لكنني أتيت بصمتٍ يتخلله بعض البكاء الخافت، وكأنني متفردة حتى في العناد.

جئت وأنا لا أعلم إن كانت الحياة لي أم عليّ، هل سأكون ما أنا عليه الآن؟ وأتساءل لِم صرت هزيلة ضعيفة أمام مشاكل العالم، تهزمني النظرة وتضعفني الأوجاع رغم صبري، ولم أعد أتحمل الفقد بأي صورة.

- هل كان والدك يدلل والدتك أيضا؟

- كنت أرى في والدي نموذجا لا يتكرر في ملاطفته الدائمة لأمي مهما أخطات وأتعبته، لكنه دوما ما يتحمل صابرًا ويرى أن ابتسامة منها تحيل الكون الصارخ هدوءًا.

أبى هو الحنان كله، وهب نفسه للجميع في محاولة منه لأن يتجاوز عن طموحاته المختلفة، لا أراه إلا وهو يعمل ويكتب، وينام في نهاية اليوم متعبًا من كثرة ما قام به من مهام لكنه لم يئن أو يشتكِ، فكنت ملاذه حين يدللني ونخرج سويًّا في نهاية الأسبوع لنتنزه في الحدائق، أو نجلس على شاطيء البحر

أدور حوله كلاعبة باليه، وهو يبتسم ضاحكا ويصوربكاميرته السينمائية تحركاتي المتتالية .

- بانسيه ، أريد منك خدمة بسيطة تسدينها لي؟

تنبهت بانسيه بكل حواسها:

- بالتأكيد يا دكتور.

- أنت نموذجٌ رائعٌ ومثالي لامرأة عاقلة، وما أنت فيه مجرد طاريء سنتغلب عليه سويًّا بجلسات متفرقة، ولكن عليك بالسفر، إنه ضروري جدًّا لك في هذه المرحلة. هذا الترحال لعدة أيام بعيدًا عن صخب المدينة وضغوطها وبعدها نحدد جلسة أخرى.

- صحيح يا دكتور؟

- اسمعي عزيزتي .. المرضى لا يدركون أنهم مرضى، وأنت أتيت وحدك لي لأتمكن من مساعدتك، كل ما في الأمر أن المنازعات بداخلك تسحبك نحو عالمٍ من الأسى والوجع، مما حدا بك إلى الاستسلام، ثم الخلاص بصورة خاطئة لتلك

obeikan.com

الآلام، ولأنك أدمنتِ الموت أسيرة، فقد حاولت هذه المرة الموت حرة، وكأنك استعذبت الأوجاع والعذابات المحيطة وهوما بمقدروك أن تتجاوزيه. العقلاء فقط من يأتون برغبتهم للطبيب النفسي، شجاعتك وحدها هي التى منحتك ثقة أكبر بنفسك أنك سليمة. امنحي قلبك فرصة أخرى، أطلقي روحك في فضاء الحب وتنعميّ بالأمل والتفاؤل لاتتركي الهزيمة تتنصر على إرادتك القوية الواضحة أمامي.

- هدوءٌ أعقب الضجيج يا دكتور!

- هو فعلا الهدوء الذي أنشده لك الآن، حاولي السفر لأيام قليلة وتمتعي بالبحر والسماء لأراك بعدها باذن الله.

- السفر؟ أليس هذا هروبا؟!

- أجيبي أنت بانسيه، هل ترين السفر والهدوء هروبا؟

- هذا السفر أجده هروبًا وأجد أن الجديد في الحياة ما ننتزعه من جوف أرواحنا لنمضي في الحياة شاءت هي أم أبينا، كل ما في باطن الذات محاولات مستميتة لإغتصاب آمالنا وأحلامنا لتصبح حقيقة، قوة الإرادة لا تعني أبدًا أننا بلا ضعف بل على العكس هذا المزج الغريب بينهما برزخ فلا يبغيان. عدتُ للحياة مصطحبة معي هذا الهروب المقيت ليلتقي ربما بنيتي الخالصة لمرافقته رغم اعتيادي المواجهة في كل مناحي الحياة، لكن طقس قلبي يُنبيء بتقلباتٍ سأضطر لمواجهتها فلا أعرف ماذا هو فاعلٌ بي ذاك الهروب. لعل السماء تختصر المسافة بين دعائي والإجابة، لعل الروح تنتقي فرصة الخروج للتقصي عبر نومٍ عميق، لعل الذنب يأوي إلى حضن ارتياحٍ منتظَر علّه يُمحى، لعلني أكتشف ذاتي المختبئة في ذاتٍ أخرى على مشارف كونٍ آخر.

ردّ الطبيب مبتسما:

- إذن سأنتظر عودتك.

- دكتور ثائر هل سأعود حقا بانسيه من جديد؟ هل سأستعيد نفسي وأبدأ حياة بمنتهى الإقبال أم سأظل هكذا حائرة بقية العمر؟

- أريدك أن تتمتعي بالحياة، وللسفر كما تعرفين سبع فوائد، ابحثي عن فائدة واحدة مهمة هذه المرة.

- ماهي؟

- حبك لبانسيه القوية والصابرة والمتحملة، حبك لذاتك المهملة منذ سنين طويلة التى بُددت طاقاتها على طريق من عطاء. أريدك أن تجدي هذا الحب وتتصالحي مع نفسك. هيا عودي للبيت واحزمي حقيبتك وسافري حيث شئت، ولكن داخل مصر هذه المرة، لأكون على مقربة منك وأتابعك باستمرار ولنا عودة.

obeikan.com

السفر

لم تدرك بانسيه يومًا تراكمات الحياة البائسة في قلبها إلا حين تألقت لتذهب صوب الوادي مبكرا.

لقد تأهبت نفسيًّا ومعنويًّا دون أن تدرك أو تقدر المسافة التى بينها وبين الحدث، حيث الخلاء والصفاء .

اصطحبتها عائشة هناك، حيث تبعد المدينة عن القاهرة مسافة لا تزيد عن التسعين كيلو مترا، وفي الرحلات الخاصة دومًا ما يكون ابتكار للحظة السعيدة هو أهم شيء في التخطيط ولكنها لم تفعل، استسلمت لأختها لخبرتها الطويلة في السفر، واقنعتها بأن معها ستجد عالما آخر موجودًا على الخريطة يستحق منها الاهتمام.

تعجبت بانسيه من عائشة فمن أين جاء هذا الاهتمام والحنان المفاجئان، ولكنها تذكرت ما قاله لها الدكتور ثائر عمار وما عليها أن تفعله، ألا تفكر

فيما يزعجها مطلقا وأن تترك الأمور تسير دون أن تضعها رهن أسئلتها .

ركبت مع أدهم وجوارها عائشة، ونظرًا لزيارات عائشة المتكررة للوادي، بدأت توجهه يمنة ويسرة حتى وصلوا، حينها أجرت مكالمة هاتفية لأصدقائها ثم أمرت أدهم بالتوقف لتدير دفة الحديث :

- تفضلي بانسيه... هنا ستنسين كل عمرك الماضي.

في صمت مطبق تأملت بانسيه كل ما حولها، طالعت ساعة يدها لتتأكد أنها أسرع الرحلات وأسهلها على الإطلاق، و شعور بالارتياح وكأنها زارت الوادي مئات المرات لكن على مدى عمرها لم تتصور زيارة كهذه، خاصة أن معلوماتها أن الوادي لا يحتوي إلا على دير للتعبد، دير وادي النطرون، فاكتشفت مدينة بأكملها تعج بالبشر ولكنهم غير أولئك الذين تركتهم خلفها وهي ماضية إليهم.

Obeikan.com

تبرع الكرم بوقفته على خيمة إنسانيتها، وتصافحت الابتسامات على وجوه القادمين لاستقبالها، وكأنهم من فصول أخرى من الزمن، يحتفلون بقلبها في مدينة مثمرة تحتل جزءًا لا يتوازى في جماله مع بقية الأماكن في بلدها، النخيل الذي يحيط المكان، المباني المبنية من طوب أبيض، لا شيء سوى فضاء يشغله بعض المباني من دور أرضي فقط، ونسائم حريرية من الفرح تجتاح روحها لتطبطب عليها كي تستكين.

بهذه الابتسامات والبشاشة بدت لها رحلة غاية في التفاؤل، مما أنساها مبدئيًّا شعورها المحبط تجاه الحياة، ليعقبها وصول الفطير المشلتت الساخن والعسل الأبيض والأسود والمش والجبنة في صوانٍ كبيرة لترص أمامهم على الأرض فكان إفطارهم غير الاعتيادي .

خرجوا بعدها في جولة للدير، وطلبت من أدهم أن يرتاح وينتظرهما ليستقلوا سيارة رباعية الدفع

مجهزة لهذه الأمور يمتلكها ابن شيخ القبيلة عماد لينقلهم شخصيًّا إلى هناك.

بانسيه تتأمل عن يمينها فترى الأرض المنسية من خريطة الوطن، وتطالع الشجر المختبيء هنا وهناك، فكأن الحياة نبضت في قلبها من جديد.

استقبلهم القائمون على الدير ليرافق رحلتهم السياحية الأنبا يوحنا بترحابٍ غير اعتيادي، ولأن الدير مزار فهو برفقة ابن شيخ القبيلة له مذاق مختلف ومعاملة خاصة، دخلت الدير هي وعائشة وسط نظرات المتعبدين والقابعين هناك للزيارة، ورغم نظرات التوجس من بانسيه لعائشة إلا أنها أومأت لها بنظرات فهمتها؛ فلم يكن حجابها أبدا عائقا للزيارة، وصمم الأنبا على حضورهم جزءًا من القداس فطالعتهم بانسيه بتركيز شديد؛ النساء على اليمين يضعن غطاءً لرؤوسهن، والرجال عن اليسار، خلعوا جميعا أحذيتهم ووضعوها تحت الكراسي الطويلة الخشبية التى سيجلسون عليها

للاستماع، سرحت بخيالاتها بعيدًا عنهم أثناء تعميد أحد الأطفال، فتنقلت بعينيها المكحلتين إلى سقف الدير لترى النقوش والأعمدة الخشبية، كانت أصواتهم تأتي من عمق الواقع لتشدها عائدة من الجماليات التى تدور في فلكها.

وجدت نفسها تحلق بين أخلاقٍ مفتقدة، وحواراتٍ بلا مناوشة، وخليطٍ من هدوء النفس والإحساس الكامل بالطمأنينة وابتساماتٍ راضية.

تنقلوا بعدها للحصن الحجري ومناظر بديعة من أعلاه، يفصل الحصن عن الدير جسر خشبي كانت تعبره وهي تمسك جيدًا بيد عماد، نزلوا مجددا ليزوروا ضريح البابا شنودة الثالث، الجميع هناك يتمسحون بالضريح ويلقون الأموال والأوراق المطوية المكتوب بداخلها الأدعية والأمنيات، المكان مليء بذكريات طفولته وملابسه ونياشينه، ورائحة لتاريخ لم تره أو تسمع عنه أبدا.

جمعتهم المصادفة بوفدٍ من وزارة البيئة كان قادمًا للوادي فخرجوا جميعًا من البوابات نفسها ، هم كانوا في زيارة رسمية للمدينة، بدأوها باجتماع حول احتياجات المدينة بعد شتاءٍ عنيف أصاب المدينة بالوحل والشلل من شدة الأمطار، ثم قاموا بزيارة للدير في فرصة للاستماع للمواطنين وللاطمئنان على الشروخ التى حدثت في بعض الأسقف في الكنيسة الملحقة بالدير.

لفت انتباهها شاب أربعيني فارع الطول ببدلة سوداء وقميص أزرق ورابطة عنق حمراء، والكل تسمر مكانه ليمر الوفد خارجًا من الدير، وقد تجمهر حولهم المواطنون، وسمعت حوارهم الذي دار مطولا حول المدينة وأوضاعها، ولأن تخصصها في البيئة فقد استفز ذلك مشاعرها لتجد نفسها ـبلتقائيةـ تتداخل في الحوار لتحاول أن تكون على قدر من المسؤولية الحرة ولتسجل شكاوى المواطنين المتواجدين خارج الدير، و لإيجاد حلول أخرى لتذليل صعابهم، ودار نقاش بين الجميع حتى خُتم

الحوار بوعدهم بزيارة أخرى ليُحشد لهم عددٌ أكبر من الزوار ليتعرفوا على أهل الوادي.

إن الأهالي في الدير تخيلوا بانسيه ضمن الوفد، وعائشة تتصت باهتمام شديد لها عن بعد وكأنها تتعرف عليها لأول مرة كمهندسة في البيئة لا كأختها، هل طاقة الجذب لا حدود لها عند بانسيه إلى هذا الحد أم هو سحر الكلمة وطاقة الحب؟

انتهت رحلة الدير وتوجهت هي وعائشة وعماد ابن شيخ القبيلة إلى سيارته، لكن رئيس الوفد ذاك الشاب الأربعيني، سارع ليلحق بهم شاكرا لها:

- مرحبا أنا المهندس سامي، وبعد سماعي لحوارك مع المواطنين وبساطتك في المعاملة أتمنى لو تقبلين أن تكوني برفقتنا حيث البحيرة الاستشفائية.

- أنا بانسيه تشرفت بك وأعتذر أن أخذني الحماس للتدخل فأنا مهندسة بيئية ، أحقا ستذهبون هناك؟ أنا وأختي أيضا في الطريق الى هناك؟

- صحيح؟ إذن هل تقبلين مرافقتنا، وهناك أستطيع أن أتعرف على خبراتك أكثر خاصة أنك تقولين إنك مهندسة!

- أرجو ألا أكون قد تطفلت عليكم وإن كنت قد قمت بذلك بالفعل، أما مرافقتكم فلا أستطيع البت بذلك فأنا برفقة وضيافة عماد ابن شيخ القبيلة منعم.

- نعم أعرفه وأعرف أباه.

ثم توجه له بالحديث:

- مرحبا عماد.

- أهلا بالمهندس سامي منذ زمن لم نرك في وادينا.

- أجل .. مشاغلي الوظيفية، ولكن بإذن الله سترون الجديد والأفضل عما قريب.

- هل تسمحون بمصاحبتنا عماد؟

- دعنا نلتقي هناك.. ما رأيك؟

obeikan.com

- إذن الى هناك.

تبادل جميعهم التحية، وبايتسامة رقيقة أعطى سامي بانسيه رقم الهاتف، على وعد باللقاء عند البحيرة الاستشفائية.

سامي يرقب خطوات بانسيه عن كثب من لحظة تفاعلها الإيجابي معهم في الدير، كانت عيناه تتنقلان مع كل حركة وسكنة لها، وترك المجال بل وأفسحهُ لها ليتأمل ذاك الثراء الفكري الذي وهبه الله لها، طلاقة اللسان، الاهتمام، العطاء اللامتناهي في المعلومات، وضحكاتها البريئة هي جوهر قلبٍ يستحق إعجابا غير اعتيادي؛ شعر بألفة معها كأنه يعرفها منذ زمن، وهي تفاعلت بطواعية وأذابت مواجعها فأصبح لحياتها المفتقدة وجه اهتمام تصب فيه كل ما بداخلها .

obeikan.com

الحب

غادر الوفد إلى حيث البحيرة وركبت بانسيه وعائشة من جديد سيارة عماد، ولكنها جلست جوار عماد ليلفت انتباهها أن في عمق الصحراء وادٍ هم بصدد الاقتراب منه، وأشجار الجازورينا على صفيّ الطريق تحجز الحرارة حينًا وتختفي حينًا آخر، فما زال الطقس على مشارف الربيع، والحرارة تختلف عن المدينة، فما أجمل اجتماع الخضرة النادرة والشمس المبتسمة والغيوم الحبلى بالمطر، وهم عرايا بلا تكنولوجيا ولا شيء سوى الكاميرا تقتنص من حياة البادية لحظات خلود لا تدرك معها الوقت الطويل ولا المسافة المقطوعة بكل الاتجاهات، ولكن ما زالت تفتقد شيئا جميلا بداخلها، فيتراءى لها الجبل قد أنطق الهواء المقبل عليهم، وكهوف العشق وحيدة مهملة بلا اهتمام، والسيارة تخترق الصحراء هائمة بهم، وغابت مع التنقلات، تسأل عماد عن كل شيء وأي شيء وكأنها في كوكب جديد.

وبعد تلك الجولة توجهوا إلى حيث البحيرة الاستشفائية، وتوقف عماد أخيرًا بسيارته الرباعية الدفع بعد نزوله على حافة البحيرة لتشهد ما لم

تشهده من قبل، بحيرة بلون يتباين ما بين الزرقة والرمادية، وبشر يملأون المكان داخل البحيرة وخارجها ؛ تأملت منظر الغروب الذي تعشق، والهواء محمل بالجمال يشاكس ببرودته خصلات شعرها الذهبي .

اقتربت منها عائشة مداعبة بسؤالها:

- ما رأيك بانسيه؟
- جميل جدًا عائشة، وأخيرا كفرت عن خطاياك بهذه الرحلة المميزة.
- وهل فعلنا شيئًا بعد؟! مازالنا على موعد مع الغداء الشهي الذي تأخرنا عنه، هيا أكملي مشاهدة الغروب ثم دعينا ننطلق.
- لا تفسدي متعتي، دعيني هنا فأنا مستمتعة بهذا السحر.
- لا إفساد عزيزتي ولكنه الجوع، علينا بعد كل هذه الزيارات أن نستمتع بالطعام ثم الراحة.
- لا عليك سأتمشى قليلا ثم نذهب.

غرقت في بحرها وشطَّت بخيالها، هي لا تعلم كم من المسافة قد مشت، ولكن تعثرت قدماها فكانت يده الممتدة نحوها وهي على أرضية وهم كبير كفيلة لاشتباك قلبها معه، نظرت إليه وعقلها يسألها، هل

الحب يقع من النظرة الأولى؟ وعدت نفسها إن كان الأمر صحيحا لا خلاف عليه أن تشنق فكرة الانتحار، وتخلع اليأس عنها، وتغتسل من نهر الآثام التى أعقبته وترتمي، أجل ترتمي في حضنه بلا تفكير. سامي وهو ينظر لها كي تستجيب:

- هل أنت بخير سيدتي؟

بعدما أفاقت من غيبوبة الومضة وبنبرة مترددة :

- أجل بخير.
- هاتي يدك سأرفعك عن الأرض.

بانسيه وقد تحول وجهها الصاخب والضاج بالاصفرار إلى لون الشمس لحظة اغتيالها، وكأن علبة ألوان الحياة لم تحتو إلا على الأحمر، مدت يدها المرتجفة متكئة على سامي وهي لا تعلم ما الذي أصاب جسدها ، فالنبض تعالى فجأة صارخا وإحساس غير مسبوق وكأنها وضعت في أتون كونٍ جديد. سرت في رأسها معركة حامية الوطيس تنازع شعورها الجميل وخوفها، كانت تجري بروحها نحوه كما تجري الأرواح لأقدارها، هالها الاقتراب منه بعطره الأخاذ وروحه التى حلقت حول المكان، لكن شعرت بخدر شديد يسري في جسدها، واستجابة مطلقة له فنسيا الوقت الذي مر سريعًا وهما يمشيان

سويا متحاورين لبعيد بعيد عن كل شيء، فتصاغر حجم الأشياء وكبر حجم ما تشعر به، وعلت الضحكات وسط السماء التى أعلن الليل فيها إسدال ستاره على الأرض فنسيت عائشة ونسيت عماد ونسيت موعد الغداء الذي تأخر كثيرا.
رغم أنها أعجبت بما يحتوي عقله من أفكار وبهرت من تفاصيل مستحيلة داخلها، ومشاعر تتلمس طريقها للظهور، لكنها آثرت أن ينخفض لديها نبض الحزن الذي أوغر صدرها ليعلو صوت هامس في عقلها يذكرها بمقولة الدكتور ثائر:

- أحبي بانسيه، اهتمي بها.

عاجلها سامي بسؤال:

- بم تفكرين؟
- نريد العودة يا سيدي الفاضل لقد نسيت نفسي ونسيت الغداء وتأخرت كثيرا.

طالعها وعلى وجهه ارتسمت علامات السعادة والتفاؤل:

- تفضلي معي سأوصلك إليهم ولكن بشرط أن أراك مجددا غدا ، هل تسمحين؟
- بالتأكيد، ولكن الآن علينا العودة.

توجها عائدين مرة أخرى للمكان الذي توقفت فيه سيارة عماد، ولأن التكنولوجيا لم تكن على جودة عالية فلم تتمكن عائشة من الاتصال بها، وظلت هي وعماد بانتظارها على موقد من جمر الخوف. وبمجرد أن لاح طيف بانسيه أمام عائشة، واجهتها بحنق وغضب شديدين:

- بانسيه ماذا فعلت؟ لقد أمتّني مئات المرات من الخوف.
- معذرة لقد تهت في المكان والمهندس سامي أعادني هنا، هل تذكرينه؟ دعيني أعرفكما هذه أختي الكبرى عائشة.

فحياها قائلا:

- مرحبا سيدتي.
- وهذا المهندس سامي رئيس الوفد المفوض من وزارة البيئة.

تلون وجه عائشة وأجابت بامتعاض:

- مرحبا.

استأذن سامي وغادر من فوره، وهي لم تسلم من ملامة الجميع لتأخرعودتهم للغداء الذي استحال فصار عشاء متأخرا.

هذا الاهتمام كان مدخلا لكل شيء وكيف لا؟ فأنت وحدك تعد النجوم التى رحلت عنك وتحصي الآهات القابعة في جوفك، تتلمس من هذا التعداد فرصة لفرض حظر زمني على العمر كي يمضي بطيئا، أو سريعا، المهم أن يمضي وانتهى .. ثم حين تهبط عليك روحٌ من سماء الملائكة تطالبك بالحب، فهل تراك تستجيب؟ قلبها الرقيق لم يتحمل فكرة وجود فيضٍ يغرقها، يملأ ما بين ثنايا كراهيتها للحياة ليُشكل في نهاية الأمر خفقات حبٍ كتعويذةٍ تعلقت على قدرها، كتميمة حظ أصابتها في مقتل.

لكن كل كلامه يرجوها تصديق المشاعر، ووجدت نفسها محاصرة بلافتات الاهتمام والفضول التى افتقدتها يوما .. كيف تكون؟ رفعت رأسها للسماء هامسة لها:

- ها أنت تُمطرين قصة الذهول وحكايا الرياح للسفن وأنا أتلقف كل شيء كضريرٍ يتلمس الجمال بيديه فلا ناظر لي ولا ضوء أستطيع به أن أعرف كنه ذاك الجمال، الإحساس هو كل ما أملك فلا مرجعية في ذاكرتي، والآن أغمضت عيني لحظة لأسألك أيتها

السماء، أنا حائرة أأتقدم للأمام لأستثمر هذا الموقف في إفاقة الحواس النائمة بمطالعة ما يدور بي من مشاعر؟ أرى الملائكة تتنزل في خيالاتي لأستعير منها أجنحة وأطير لأطل بها على شرفة الأرض، فأرى البشر مجموعين حول النجوم المؤرَّقة، والنجم وحيدٌ مثلي لايرى سواي وأنا ألتقط لمعان قلبه من السماء فينظر لي مستدعيا كل الحب.

obeikan.com

في جوف العشق

التقيا مجددا في الصباح، ولكن دون عائشة التى أنهكت من رحلة الأمس وغطت في نوم عميق، ودون عماد أيضا، فهو لديه اهتماماته المختلفة التى لا تعرفها.

في مكان كل الأشخاص تعرف بعضها بعضا بالتأكيد لم يكن سامي ساذجًا ليأخذها في مكان ما، ولا مراهقا ليبحث عن وسيلة للاختلاء بها، بل أتى لشيخ القبيلة الذي يعرفه لزياراته الرسمية والمتكررة للوادي. تقابلوا جميعا في خيمته التى نصبها في فناء داره المتسعة ليشربوا الشاي ويتبادلوا الحوارات المختلفة، وسألت بانسيه الشيخ منعم عن عماد:

- سيدي أين عماد؟
- ذهب ليرى مراعي الخيل والإبل؟
- خيل وإبل؟! هل بامكاني الذهاب هناك؟
- طبعا أنت ضيفتنا عزيزتي وكل طلباتك مجابة بإذن الله، ولكن بإمكاننا انتظار عماد، فقاطعه سامي:

- ولم الانتظار؟ معي سيارة مجهزة لذلك كما تعرف وبإمكاننا التوجه إلى هناك.
- لا بأس.
- إذن هيا بنا سيدتي.

صعدت لتغيير ملابسها بما يتناسب مع الصحراء فلبست بنطالا أسود وقميصا أصفر بلون الشمس، رشت قليلا من عطرها ومشطت شعرها الذهبي وربطته كذيل حصان ليتدلى خلفها، ركبت جوار سامي وودعت الشيخ منعم على وعد بلقاء بالغداء الذي تمنت أن يكون من لحم الضأن الذي تعشقه والفتة، فوافقها على ذلك على أمل عدم التأخر كالمرة السابقة.

توجها في أعماق المدينة حيث الصحراء لهما على انتظار، وعلى مدى الطريق لم تكف عن الحديث والتواصل مع سامي، وهي لا تدري سر تعلقها ولا اهتمامها به ولا فهمها لسر اجتذابه لها، هل هي أرواح تلاقت بالفعل أم هو مجرد اهتمام؟ هالة النور التي تحيط الروح في مقعدها عند جسدها الهزيل لا تتناوش أبدا مع ما يدور في أفلاك الآخرين.

هي تشعر وكأن الروح قد قطّعت تلك الهالة، وتعرت فاستطابت الدنيا خروجها من الجسد، لايُملي عليها أحدا ما قد يساورها من شكوك حول ماهية التواجد على تلك البقعة من الأرض، ولا حول تواجدها الرئيسي بين بشر بعينهم ولا في مساراتها نحو طريق محدد.

تدمع عيناها وتسقط من قلبها تلك القطرة المالحة على وعاء قلب سامي ليلمحها على خدها وهما في الطريق، فتوقف سامي على جنب الطريق، مسح دمعتها برقة وتنهد بعمق:

- بسمِ الله على الروح التى سكنتني.

نظرت له مستغربة:

- ماذا تعني؟

- روحك بانسيه، هي روحٌ تعاقر خمر الجنان، هبطت عليَّ بسلسبيل الكلمة وتفجرت معها كياناتي المحنطة.

- ياالله.

الحب الذي بدأت بوادره في هذا الوادي كان بحاجة لكي ينمو إلى سلةٍ من الثقة وفيضٍ من المشاعر المتأججة، و إلى مَن يدرك كيفية المحافظة عليه .

ولأنها لم تتوقع وجود قلب ينتظرها على قارعة الزمن، يخبرها أنه لم يتمكن من جعلها بائسة تعيسة، جعلها في حالة أشبه باللاوعي، كان عليه أن يضم أشواقها المترحلة من وهمها ليجسده واقعا سعيدا لها.

ابتسمت ابتسامة هزيلة، فهي لم تعد تعرف الفرق بين أوهامها وحقائق دنياها التى تتوه فيها أوقاتاً طويلة، لكنها الحقيقة فلم تعد تسمع، زاغت بأحلامها بعيدًا عن مسارها، وتحولت كل الأوجاع إلى نهرٍ من حرفٍ أبيّ.

فتح سامي باب السيارة لها لتتمشى قليلا علها تهدأ بعد بكائها، وبدأ يسألها عن المزيد من حياتها

وأحوالها، وهي تناوش كل شيء دون رحمة متمتمة لنفسها في صمت:

- آه لو يعرف سامي أن العطاء في جبهة الصمت صبرٌ لا أتحمله، وما تغمرني به شهادات النجوم والأقمار ببراءة التوسلات التى اجتهدت لتبعدني عن أقاصي رحلتي مع القلب، لضمني بقوة الاشتياق إلى الحب.

ضمها سامي دون أن تدري، وكأنه يسمع احتياجها وإلحاحها الرهيب، واستسلمت له بقوة قهر الموت الذي يتناوب على إرادتها، علها تتخلص من عذابات الدنيا المتوالية، وحين قبّل رأسها المنهك من التفكير ارتدت لها روح الحياة فقالت مرتعشة وهي تنتفض:

- هل أنت حقا هو؟؟

ولم تكمل جملتها لتسقط مغشيًّا عليها من فرط الانفعال بتواجد حسي لكل مشاعرها.

سريعًا رفعها عن الأرض وعاد بها إلى حيث شيخ القبيلة منعم لإحضار الطبيب ونجدتها، لا يعلم ما الذي حدث لها ونبض بانسيه يضج، صرخ في وجه الفلاة بآهاتها المعذبة والصامدة في أعماقها بلا كلمة واحدة، جاءت عائشة تصرخ هي الأخرى باحثة عن إجابة لما حدث لأختها، ولم يكن سامي يدرك أنها عائدة من الموت بعد محاولتها الانتحار، فهو الشيء الوحيد الذي لم تخبره به، ولا أنها للتو أرادت الحياة.

حاولوا إفاقتها عن طريق طبيب المدينة ولم يفلح، فنصحهم بنقلها للقاهرة، فقرر سامي أخذها ترافقها عائشة في سيارة الاسعاف، ولحق بهم السائق أدهم ليمضي الوقت الذي تصارع فيه بانسيه نفسها مع الحياة، وهم لا يدركون ماذا أصابها.

الآن هي على بعد مائة من الكيلومترات من الإنقاذ، وملايين السنين الضوئية من الاستفاقة.

في المشفى تعاني انهيارًا عصبيا حادًّا هو حصيلة لما ابتلعته من مهدئات للنفس وأجهدتها بكل عنفوان،

يختال الصمت حولها فلا أكثر ولا أقل من وداعةٍ نزلت على قلبين جمعتهما الأقدار في قالب الرومانسية المتأنق، والأرق الذي فارق عيون الوَجد نام مطمئنا إلى جوار تلك المحبة، وسكنت كل الطيور عن التغريد، لم يتبق الا الكروان المحلق بعيدًا في الأجواء، يحاول أن يبتهل إلى الخالق في أعالي السماء ليعلن عن قدرية هذه المحبة المطوقة للأرواح، وكأنما أستدر عطف النجوم لتضيء تلك الليلة بضياء الشوق المنبعث من كل الأكوان، تتنزل ملائكة العشق بمائدة الأشعار لتنسج من أبياتها سلم استرضاء، ومفرداتٌ وحيدة يسترعي انتباهها تلك الطاقات العالقة في جوف الأرض، تشد من أزر الهوى وتتوكأ عليه لامتنانها بما قدم على المدى حين حول جفاف الروح إلى حياة، وحين بدّد الخوف القابع في معتقل العقل وحين اخضوضرت أوراق الأمل بكل قبول.

وأفاقت بعد جهد طبي بحثًا عن حبيبها، فهل هو على مقربة من صدرها الثائر على أنفاسها المختلطة بكل

الوجد والشوق؟ ماهذه القوة التى تمتلكها تلك الروح المعذبة في كيانها؟ لتنفجر براكين البكاء في وجه الحاضرين والصراخ كان يتألم صاعدًا من حنجرتها المتوعكة من كثرة الصمت صار عاليا يجوب كل الحوائط والأسقف ليجتازها للسماء.

حضر الطبيب معلنا إخلاء المكان، فلابد له أن يقوم بدوره في تهدئة بانسيه لإخراجها من حالة الهياج التى أصابتها.

نظرت عائشة لسامي في ذهول:

- وهل ذهبت بها للوادي لتتوعك من جديد؟

لِم كان قلبها يجلس في الصفوف الخلفية للحب موهمًا نفسه أنه لن يُلفت الأنظار، ناسيًا أن الحب يتسرب إلى المناطق المنعزلة في شموخٍ وإباء، الحب يشتهي الاختلاف، والبشر بطبعهم يلتفون حول الممنوع، يبحثون في وحدات قلوبهم المدمجة عن فيلم للحب يُعرض على شاشة الوحدة، فتمتزج الآحاسيس، وتتسع رقعة الاندماج، فتختلف أيامهم أو

ربما تزدهر، فالاستعداد الودّي لخوض مباراة الحب التقليدية بلا جدول يأتي حين تشتهيه، وينتهي بانتهاء مواسم الإزهار. تبرق العيون تحتل من وسط أكوام البشر المصطفة فيزياء هذا الوهج ، ثم تُبشر بكيمياء لشخص واحد قَدره أنه لم يختر، بينما روحه المحلقة في دورانٍ ثابت جمعته بنقط التقاء مباشرة معها.

فحين فكر الحب بغزو مشاعرها المجمدة في درجة حرارة أبعد من الصفر بخمس وعشرين درجة، كان عليه مهمة إذابة الثلوج العالقة في جدار قلبها دون أن يقطر نقطة دمٍ واحدة، يسحق من آهاتها تلفيات ما مر من العمر الذي أوشك على الاصطدام بحافة العقد الرابع، لم تفهم هي لأي حدّ قد يناوش الاقتراب الذي قد يضرم نار العشق في قلبها من جديد!

سايرت نفسها مرارًا كي تقتنع أنها الوحيدة المخولة في الحياة للاقتراب من نفسها دون خوف أو تحفظ، لكن النبض ناشد نوافذها أن تسمح بإطلالةٍ لعقارب الوقت حين يستأذن الليل بدخول النهار، ويستبيح

بنوره كل الملذات الغائبة في سطور النسيان المتعمد لتعيد تجديد لغة العشق في ثوب تائبة إلى الحب.

لقد أدارت نبراته في قلبها ذكريات همس، وتصدعت أشواقها التى دفنتها عواصف الثلج تُنبتُ نبضًا يعيد خلق روحها، فعنق الحب شامخ ينظر نحو شمس روحه، ثم تسقط دمعاتها تُذيب الفواصل بين ما أحياه الحب وبين ما بدونه قد مات.

obeikan.com

العودة لثائر عمار

ومجددًا على سرير المرضى تستغرق بانسيه في سرد حكايتها للطبيب:

- دعني أخبرك عن معرفتي بنبيل يا دكتور..

كان ذلك اللقاء في فندق ذا ريتز في لندن، حيث تم دعوتها لحضور مؤتمر في الهندسة البيئية تحت عنوان (تلوث البيئة العالمي) خاصة في الشرق الأوسط وتحديدًا عن العراق.

أشارت للسائق الذي ركبت معه التاكسي للتوجه إلى شارع بيكاديلي حيث موقع الفندق، ونظرت نحو منتزه "غرين" الذي يطل عليه ليخبرها السائق بالوصول، فدفعت الأجرة ونزلت.

دلفت إلى بهوه بكل حماس وأخذت تتأمل أركانه، الديكور في الفندق مؤشر رشيق لأناقة لامحدودة، رواق طويل من الإبداع الفني والمعماري وكأنه بلا

obeikan.com

نهاية، والبانيل المصنوع من الخشب الداكن والرخام الأبيض قد تم تصميمهما بطريقة متجانسة، وسجاد أحمر واضح أنه باهظ الثمن لحد بعيد، أما ألوان الأثاث فهي تتراوح بين لون الكريم والألوان الوردية في مزيج من الفخامة الإدواردية والكلاسيكية الفرنسية التي طبعت القرن التاسع عشر، ونجف معلق على السقف من الكريستال مزينة بحوامل مذهبة ليتدلى من الجوانب الإضاءة الحرة، وبنهاية كل نجفة كرة كريستالية كبيرة عدا تلك الاضاءات المنتشرة على الحوائط بحوامل مذهبة هي الأخرى، وتلك الجدران المكسوة برسوم يدوية، إضافة إلى النماذج المصنوعة من الجص، أما الأطباق وأغطية الطاولات فهي صناعة صينية فاخرة كانت في غرف الطعام التى تلكأت في مشيتها لتقتنص فرصة رؤيتها، أما المزروعات ففي بوتقات رخامية مرتفعة تحت كل إضاءة جانبية، الأسقف مذهبة بنقوشٍ تهيأت لها كثعابين بشكل بيضاوي كبير.

كانت مبهورة بتصميمات الفندق التى شكلت على طراز الحركة الكلاسيكية الحديثة، ليمضى وقت طويل لا محسوب في تأملها كل جوانبه، وعجبًا لم تملّ فهذه الجماليات تبهر ناظريها باستمرار .

وفيما كانت عيناها مستغرقة في هذا التأمل وجدته يقترب منها ويربت على كتفها برقة قائلا:

- هيا بنا الى المؤتمر دكتورة هيام.

حملقت بتعجب:

- لا لست الدكتورة هيام.

بهت عقل نبيل بهذا الجمال الذي يصرخ من فرط إعلانه عن نفسه حين التقت عيناه بها، رغم أن بانسيه لاتهتم بالتعري قدر اهتمامها بالألوان وتناسقها، والثقة والكبرياء في شخصيتها قد أطلقت سهامها تجاهه دون أن تدري.

بسرعة أردف قائلا كي لا يفوت على نفسه تلك الفرصة:

obeikan.com

- لاعليك أعتذر..أنا الدكتور نبيل، وأنت؟

بثقة تفوق مستوى الحوار:

- بانسيه خير الله الشاهد، مهندسة أحضر الدكتوراة في الهندسة البيئية، جئت لحضور مؤتمر عن البيئة.

- عذرا ظننتك الدكتورة هيام فقد كنت أنتظرها لبدء مؤتمري الخاص عن حقوق الإنسان ولم أكن أتخيل رؤية قطعة من سحر الكون.

لم تعر بانسيه انتباها لهذه المجاملة ولكنها أردفت سائلة:

- هل أنت رئيس المؤتمر؟

- نعم سيدتي ، ويشرفني التعرف إليك.

هذا التعارف لم يأخذ من نبيل طويلا، فقد كانت غالبًا ما تتجنب الحوار مع الغرباء، لكن مع نبيل المتمرس في التعرف الى البشر خاصة المرأة، عرف مداخلها بمجرد النظر في عينيها، وكيف

بدبلوماسية يوقعها رغم طوله المتوسط، وصلعته التى اقتصت من رأسه الكثير، وبضع شعرات على الجوانب تقترب من الأبيض ونظارته الطبية الباهظة الثمن، إلا أن روحه الخفيفة جعلتها تقبل تودده لها وتحديدًا حين تأكدت أنه عربي من مصر ، وربما كونه محاميًا دوليًّا فقد يكون قد دار حول نساء العالم بكل أشكالهن، أما هي فتنقلاتها كانت محدودة لم تكن تعرف سوى إسماعيل زميلها الذي يحضر الدكتوراة أيضا، ولم تعش تجربة معاركة الاختلاط الدائم والمتمرس مثل نبيل، فكانت وردة بريئة لا تفقه الكثير عن الرجال سوى مشاهداتها اليومية لوالدها وأخيها وجدي وبعض زملائها في الجامعة.

وظل الدكتور ثائر متابعًا لحكايا بانسيه دون مقاطعة منه:

- أصر نبيل بلباقة فائقة على إعطائي رقم هاتفه واستأذن مني لبدء مؤتمره، وأنا بدوري أيضا

تأخرت عن حضور مؤتمري، لكننا تواعدنا على لقاء آخر.

كنت يا دكتور أعيش أشبه ما يسمى بالعزلة الدراسية، العزلة هذا المنسوب الوهمي لبئرٍ جاف كان فرصة لتحويل الهزائم إلى ابتهاج شمس الانتصار رغم وعورة تضاريس طريقه، لكنه فرصة لإعادة هيكلة الروح وتبصّر الكون بمنظورٍ جديد لأحصد نجاحًا آخر غير ذلك الذى اعتدته وأنا في الخليج، كل همومي تنصب في وعاء فرحة الأم التى تعبت وربت وساندت كي أرد لها الجميل أضعافًا مضاعفة إن استطعت، فالأزمات التى حولت حياتنا من دار الرفاهية إلى دار الكبد والمشقة بوقفة أمي الحاجة ابتهال البطولية تحولت حين ساندتني كمتفوقة لأنهل مزيدًا من العلم بتسخير جزء من التعويضات التى صرفوها لنا بعد مرحلة التحرير لتحيل أحلامي واقعًا ملموسًا.

الضياع

ككل صباح كانت تعتلي منصة اليقظة حين تمتلىء الدنيا بأصوات العصافير، وهذا اليوم لم يكن كبقية الأيام، كان عقلها مشغولا حد الإرهاق والأسئلة تحاصرها من الجهات الأربع، وهي على الجهة الخامسة تذيب عقلها في نهر الاغتسال لتنسى ما حدث وما قد يحدث.

كل الوساوس والظنون أعطتها صك انتهاء كي لا تبكي كما تفعل دوما حين تضيق بها الدنيا، أسرعت لتجدد مصالحتها بالإهمال كي تمر بقية العمر دون غضب أو انفعال، قررت تحييد المشاعر وضبط النفس لأنها لم تجد عندها من طاقات الكون ما يتسع لآلام الإنسانية، حتى الصداع أمهلته زمنًا ليختفي كي لا تدمره بابتلاع ما يفيد، حتى البدر عاهدته ألا تنظر نحوه في اشتياق وأن تسكب على مشاعرها الحمقاء كلماتٍ من قاموس الصبر لعله يدرك أن الوجع يولّد الموت البطيء.

أسعفت نفسها بطبطبةٍ على ما تحتويه من شجن، وحاولت أن تسقيها جرعاتٍ متتالية من الاستغناء لتستكفي، فكل هذا حدث حين أفاقت من صبرها

الذي تمتد له مسافات الحزن فلا تنتهي ، وتحترق معه عقارب الساعة التى لا تمل الدوران، وموعد الاحتفال بالدكتوراة الذي قد أوشك على الابتداء.
الرنين لم ينقطع عن الهاتف ولا إجابة تُشفي البعد الذي تعيشه وحيدة، كانت تعد الوقت الذي يمضي ببطء شديد، و لا تعرف سر عدم رد اخوتها على الهاتف ولاحتى أمها، كيف ستُفرح قلبها إذن بخبر نيلها الدكتوراة وما وصلت له أخيرًا.
عبثا ذهبت محاولاتها أدراج الرياح فمضى الاحتفال مملا قاتمًا، لا أحد جوارها سوى نبيل الذي فرّغ وقته لها، وعليه أخذت قرارًا بالعودة رغم تفوقها وإمكانية عملها في لندن، وأقنعت نبيل بقرارها بعدما أفصحت له عما في صدرها من توجسات ومخاوف من اختفاء الأخبار حول أمها وعدم الرد الذي يصارعها ليل نهار دون حل فبادرها:

- سننزل مع أول طائرة للقاهرة، لا تقلقي عزيزتي، فأنا كفيل بمعرفة الأخبار، ومعك في كل الخطوات كي نصل لما يدور هناك.
- أخاف أن يكون قد أصابها مكروه.

- كل ما تقولين ينطوي تحت فكرة الاحتمالات المتوقعة فقط، دعينا ننزل القاهرة ونرى ماذا هناك وسنسأل كل المعارف.

وصلت الطائرة أرض المطار، شعرت بزلزالٍ عنيف يهز أرجاءها، أفبعد كل النجاحات تأتي المنغصات؟ أم أن الحياة لن تكتفي بتعذيبها كل فترة، وكأنه ليس من المسموح لها السعادة بلحظة إنجاز تمكنت منها بعد الغربة والفراق.

ركبا سيارة نبيل الفارهة بعد أن فتح أدهم سائقه الخاص الذي يرتدي بدلة سوداء بربطة عنق أنيقة باب السيارة، وامتدت الشوارع بطول الزمان سارحة بها ما الذي حل بأمها؟ وأين ذهبت؟

وصلوا إلى بيت العائلة المتواضع في الحلمية، طرقت بانسيه الباب بكل الخوف ثم بعنف، ونبيل يحاول أن يهديء من روعها حتى فتحت جارتهم أم حسام الباب لتخبرها بأنه لم يعد هناك أحد بالمنزل، وأن عائشة ووجدي انتقلا من المنطقة منذ مدة.

وعبثًا تسأل بانسيه أسئلتها الخائفة ولكن لا إجابة محققة من أم حسام سوى لا أعرف، لتلقي بمخاوفها على نبيل متسائلة:

- ما الحل إذن؟ أرجوك ساعدني يا نبيل، هذه أمي، لا أتخيل أن يكون قد حدث لها مكروه، ثم أين أخي وجدي وأين عائشة ؟

ودخلت في دوامة البحث عنها في أقسام الشرطة والمستشفيات حتى كادت أن تستنفد ما لديها من طاقة، هل تعلن عن اختفائها وهي لا تحتمل الفكرة في حد ذاتها؟ وماذا يمكن أن تفعل؟

ثم جاءتها الإجابة بعد تمهل وتأمل وتركيز، وبعد مشاورات مع نبيل، هناك بصيص من أمل فليذهبوا إلى أهل نجاة زوجة وجدي، بالتأكيد لديهم بعض الإجابات.

توجهتْ ونبيل إلى بيتهم وتركها تصعد وحدها لتبدأ المحاولة دون تدخل منه، ومع أول طرقة للباب

فتحت والدة نجاة السيدة أم مجدي، وسلمت عليها بحرارة، وتساءلت عن أحوال دراستها وأخبار الدكتوراة دون أن تدخلها من الباب:

- متى وصلت عزيزتي؟
- بالأمس.
- وكيف أحوالك؟

كتمت بانسيه ضيقها من برود ردود أفعال أم مجدي وقاطعتها :

- دعك من أحوالي وأخبريني أين أمي؟؟؟

صمتت صمتًا يشبه صمت الموتى ، فأمسكت بانسيه بكتفها تهزه:

- أين أمي؟
- في دار للمسنين؟
- ماذا؟ ولماذا هي هناك وكيف؟

obeikan.com

- لقد قرر وجدي وعائشة فعل ذلك حين جاءت الموافقة بالتأشيرة لسفر عائشة إلى كندا حسبما سمعت منهما.
- كندا؟
- نعم، أرادت الهجرة، وأخوك لديه من الأعباء ما تكفيه والأولاد والمدارس وابنتي نجاة لن نستطيع أن تقوم برعاية والدتك، فباعوا شقتكم ووزعوا أنصبتهم، عائشة هاجرت، ووجدي فكّ من أزمته المالية التى تعرض لها مؤخرًا، وقرروا وضع الحاجة ابتهال في دار المسنين.
- باعوا نصيبهم وأمي على قيد الحياة! ورثوها حية؟ ما الذي يحدث؟ وكيف وافقت أنت على ذلك؟
- أنا لا شأن لي .
- هذا تحريض من ابنتك بالتأكيد، فأنا اعرف وجدي لا رأي له أمام رأي نجاة.
- من فضلك تخيري ما تقولين، وماذا عن عائشة أليست ابنتها كيف وافقت هي الأخرى؟

احتد النقاش كثيرًا بينهما وهما لا يزالان على الباب، وبانسيه انتابها الذهول من دناءة التصرف وماذا فعلوا بنصيبها يا ترى؟ هل زوّرا الأوراق أم ماذا؟ ومن ساعدهم في ذلك؟ أسئلة وجهت كقذائف لأم مجدي في خضم صعود نبيل السلالم بعدما تأخرت عليه بانسيه حين تصور سلاسة الأمر، ولكنه لم يكن سلسًا أبدًا، فرأى هذه المعركة الكلامية ليسرع بايقافها ومحاولة إيجاد فرصة للتهدئة:

- سيدتي لا نريد الأمور أن تتأزم، وأنتما على الباب والجيران هنا سمعت كل شيء، أخبرينا فقط أين الحاجة ابتهال ؟
- معذرة من أنت؟
- أنا الدكتور نبيل محامي الآنسة بانسيه.

دخلت سريعا منزلها وصفعت الباب، فطرقاه مجددًا لتفتح بعد دقائق من القلق الذي علا المشهد وبيدها ورقة:

- هاهو العنوان ولكن لي رجاء انسوا هذا المنزل، وانسونا جميعا.

إن مساعدة نبيل لها بالبحث عن والدتها جعلته يكبر في عينيها، فلم يعد سواه حاميًا وأمانًا لها من غدر البشر حولها، وبذا أعطته أخيرًا صكًّا للموافقة على الزواج بشرط أن يجد والدتها، هو يكبرها بعشرة أعوام و هي لم تحمل له عاطفة الحب.

opeikan.com

احتضان أمومة

في حي مدينة نصر، حيث تتزاحم السيارات على الطرقات، توجهت مع نبيل إلى دار المسنين قبالة المحكمة، بعدما اضطرت للمبيت في أحد الفنادق التى حجز فيها نبيل جناحًا فخمًا لها.

نزلت متلهفة وباكية، لا تتخيل منظر أمها في دار للعجزة رغم أنها لم تتجاوز الخامسة والستين، ووراءها نبيل ليلحق بها، وأشار للسائق أدهم أن يجد مكانًا للوقوف لانتظار عودتهما.

سألت العاملين عن الحاجة ابتهال وجدي حتى أشاروا الى غرفتها رقم سبعة عشر، وبهدوء مقيت خطت خطوات متثاقلة، وهي ليست على يقين من تحملها لهذا المشهد، تقبض على يد نبيل من الخوف، وهو لم يفارقها، كل خطواتها وحركاتها تحت مجهره الصامت، يخزن في ملفات عقله كل المعلومات عما يدور بها.

ترك يدها، وطبطب على كتفها ليبث لها ثقة للتقدم بهذه الخطوة وحده ، وهو على ثقة كبيرة من قوة تحملها.

قرعت الباب وانتظرت حتى سمعت صوتها الدافيء من عمق الغرفة :

- تفضل.

فتحت الباب فوجدتها جالسة على حافة السرير وفي يدها مصحف صغير تقرأ فيه، فارتمت في أحضانها تشاغب أركان حنانها، وتبكي بكاءً مرًّا لا ينتهي، تنظر حولها فترى الغرفة ضيقة ومكمكمة، السرير قديم والنافذة الضيقة تحجبها ستارة بلون الحزن، كانت المفاجأة للحاجة ابتهال متباينة ما بين الفرح والحزن فبكت معها، تحتضنها وهي تردد:

- فجاء البشير، الحمد لله، الحمد لله بانسيه، لقد ابتهلت كثيرًا إلى الله وأنا أدعوه (فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون).

- أمي حبيبتي كم اشتقت إليك، سنمضي سويًّا للبيت، ستخرجين من هنا والآن، ولن أسمح باستمرار تواجدك هنا بأي ثمن.

- أي بيت؟

- بيتك الجديد أمي، بيت يملؤه الحب بعيدًا عن كل ماحدث لك، سأعوضك عن سنين غربتي عنك وغربتك عني، ونكران الفضل من أخوتي. وددت لو كنت معي وأنا أنال شهادة الدكتوراة، لحظة فرح اغتالها الشقاء دونك، كيف فعلوا هذا بك، كيف؟ سننتقل إلى بيتٍ أرحب وأوسع.

هنا اقتنص نبيل اللحظة الحاسمة ليدخل الغرفة بعد ترقب المشهد من الخارج، تعرف إليها وراح يحادثها بدبلوماسيته المعهودة، ولسان عذب عن ابنتها وكيفية التعارف بها ورجاء أن تقبله زوجًا لها، فمن واقع تصرفات بانسيه تأكد لنبيل أن طريقه صار ممهدًا للموافقة بلمسته الإنسانية القادمة، وبذا

ستصبح فيلته مسكنًا جديدًا وراقيًا يليق بعروسه وبأمها .

يقينا لم يكن لأمها حل آخر سوى الموافقة على سجن بديل آخر غير ذلك الذي تسكنه تضحية منها لترى ابنتها سعيدة.

رغم الفرح و انتقال والدتها معها إلى فيلا الزوجية و شهر العسل الذي تجولت فيه في أكثر من مدينة أوروبية على مدى أسبوعين كاملين، إلا أن الحاجة ابتهال التى أدارت حياة عائلة بانسيه بمنتهى الإخلاص لا تزال وحيدة بين جدران الفيلا، لا يتابع أحوالها سوى كبير الخدم سعيد، ويأتيها أدهم بكل طلباتها، شعرت بانسيه بذلك من صوتها كلما اطمأنت عليها بالهاتف فأقنعت نبيل بالعودة. .

لكن الحاجة ابتهال لم تهنأ رغم الخدم والحشم، فمن وجهة نظرها اغتالها الأبناء بالتجاهل وقطع الأرحام فما الفارق بين دار العجزة وفيلا نبيل، هي وحيدة تتجرع آلامها بلا أنيس أو جليس، الذكريات

حاصرتها من كل الاتجاهات ولم تتحمل كثيرًا أوجاع كسرتها، وكأن القدر أمهل بانسيه وأمها الصابرة فترة وجيزة للتعايش السلمي ثم قفز بصدماته المعتادة لتموت بعد زواجها من نبيل بشهرين بسرطانٍ استشرى بجسدها كما استشرت العداوة والبغضاء بين أولادها.

غادرت روحها الطيبة بمنتهى الهدوء، كانت دومًا تدعو لبانسيه بالتوفيق والسداد، وأن يملأ الله حياتها بالأولاد الصالحين، ولكن الموت لم ينتظر لترى ولدًا لها.

سيدة الحياة، هي الأم الإنسانة التى تعلمت منها بانسيه كل شيء في الحياة في صمتها، شجعتها على حب العلوم والمعرفة، تابعتها حتى كبرت، تابعت سفرها وغربتها لتنال أعلى الدرجات الجامعية، وتركتها تواجه وتعترك الحياة وهي مطمئنة على سلوكياتها، تعلمت منها بانسيه معنى الشموخ والكبرياء، الكرامة وعزة النفس، الحياء والدين، قوة الشخصية وحب العلم واستثمار الوقت.

بانسيه تشكو لنبيل وهي تبكي بحرقة:

- أجد كلماتي تقف على جناح الحب لتطير رسولاً إلى أمي الحبيبة حيث هي الآن في آخرتها في دار الحق وانا في غربة حقيقية دون أن تدرك ذلك، أحيانا أسألني هل أوفيت حقها مهما فعلت؟ هل تقديري لها على أنها استطاعت تكويني لأصبح اليوم الدكتورة بانسيه هو ماكانت تصبو إليه؟ هل كان لمثلها العليا التى ربتنا عليها فرصة إقبال لتُعلم الأبناء والأجيال معنى تلك المثل والخلق؟ هل ينتهي ذاك البعد الذي يملأ قلبي بالضيق لألتقيها على الجناح الآخر من الحياة حين نودع رسالتنا على الأرض لنعيش برزخ الحياة الأخرى؟
- الموت مقدر ومكتوب علينا جميعا تصبري فكل المصائب والأوجاع تبدأ كبيرة ومصيرها إلى ضمور وزوال.
- أنا لا أستطيع تخيل حياتي دونها يا نبيل، الحياة دون أبوين لا معنى لها .
- علينا تقبل أوضاعنا، ماذا عني أنا؟ لم أر أبي منذ كنت في السادسة؟ ولا أذكر معنى الحنان الذي حرمت منه حين ماتت أمي حسرة على أبي في العام نفسه، لا نملك القدر، افهمي هذا، الأقدار مسيرة

بإرادة الخالق، وأنت مؤمنة بالله، لذا لا نملك إلا الصبر والدعاء، وخير ما يترك المرء في حياته أبناء صالحين يصنعون صدقة جارية له.
دعينا نتصدق على روحها الطاهرة في أي مكان تشاءين.
- صحيح يا نبيل؟
مسحت بانسيه دموعها وأردفت:
- في دور الأيتام إنه المكان المناسب لمن حرم مثلي من الأبوين..مارأيك؟
- لك هذا، اختاري الأماكن التى ترغبين في زيارتها، وأنا سأتكفل بكل شيء، وأدهم سيعمل على مرافقتك، وسأتخلى عنه هذه الأيام لك خلال فترة سفري إلى نيويورك.
- ستتركني وحدي ؟
- وماذا أفعل؟ هذا عملي وأنت تعلمينه جيدا.
- نبيل في داخلي احتياج رهيب للاحتواء والاحتضان، ليس سهلا على امرأة أن تقول هذا لزوجها، لكن الاحتياج شيء مؤلم، ومع ذلك أقولها لك أنا بحاجة لوجودك جواري هذه الأيام.
- أنا هنا حبيبتي ، تعالي إلي.

وأخذها في حضنه، يمسح على رأسها وكأنها طفلة في الخامسة، ويداعب خصلاتها الشقراء الناعمة، ثم أودع صبرها في غرفة نومهما، ومارس دوره المعتاد في قطف ثمار ضعفها ولم يكن لديها حل إلا أن تستجيب.

obeikan.com

الأم البديلة

من شدة الحرمان تُخلق الحلول البديلة، وهي لم تجد بدًّا لحياتها الخائبة وحيدة بين جدران الفيلا، ووحدتها من أواصر العائلة، سوى دور الأيتام بترشيح غير مقصود من نبيل.

السبت هو دومًا موعد اللقاء مع الأيتام ، هؤلاء الذين حرمتهم الحياة من تواجد الأهل وخاصة الأم ، كانت إرادتها تلتقي إرادة الأيتام، هم بلا أم و هي بلا أم ولا أب و لا أولاد بعد.

ماهذه المشاعر التى قد تنتاب الانسان إذا ما تخلى القدر عن منحه كل الأشياء؟

حسن .. ذلك الطفل الذكي والمتحدث فاجأها اليوم باستقباله المدهش:

- هل بإمكاني أن أقول لك ماما؟ أنا لم أر أمي ولا أعرف معنى الإحساس بالأمان والعطف والرعاية

- لك ما شئت، اعتبرني ماما وسدد لي كل طلباتك واحتياجاتك سأعمل على تحقيقها باذن الله.

- ولكن يا ماما ، قاطعها حسن :

- هل ما أحمله من مشاعري تلك تجاهك حقيقية؟

ابتسمت بانسيه ابتسامة حرمان هي الأخرى وأجابته:

- لا أدري يا حسن سوى أنني أتداول معك كما أحب أن أفعل مع طفلي الذي هو من دمي ورحمي، لن أحمّل مشاعري فوق طاقتها سأدع الاسترسال يفعل معي كل شيء. لذا دعك من كل هذا وأخبرني هل تريد أن أحضر لك شيئًا في الزيارة القادمة ؟

- أريد قصصا أقرأها تساعدني على فهم الحياة، فأنا أحب المعرفة، وهي تسعدني وتساعدني على قتل الوقت.

- سأعمل على انتقاء مجموعة من القصص والروايات وأحضرها لك فعلا في المرة القادمة، أرأيت؟ أنت تشبهني في كل شيء حتى حب المعرفة والقراءة.

- صحيح؟ اذن اتفقنا في المشاعر والهوايات وفي أنني ابنك وفي كونك أمي.

ضمت بانسيه حسن الطفل الذي لا يتجاوز الثامنة إلى صدرها ضمة ود حنون، فحسن طفلٌ يتقد من عينيه الذكاء يميل في بشرته إليها، له عينان زرقاوان وشعره كستنائي خشن لايشبه أبدًا خصلات شعرها الحريرية، لكن التقارب الروحي بينهما جعل من علاقتهما شيئًا يقارب الواقع لا فرق إلا بجينات الوراثة والرحم الذي لم يحمله يومًا.

إن زيارات بانسيه لدار الأيتام كانت بعيدًا عن نبيل رغم تشجيعه، فهو يرى أخيرًا أنها ستستطيع نسيان ما بها من كل الآلام بخلق جو مختلف واهتمام آخر بعيدًا عنه، وهي ترى أن تلك محاولة جادة منها أن يكون الهم الذي تعيشه معه موزعًا بين الصراع والعطاء، أن تعطي حسن ما لم تستطع أن تعطيه لمن قد يأتي من رحمها ويكون ثمرة قلبها، في نفس الوقت تكتم الحديث عن ذلك الفعل لتبعد توترات

منزلها وشحناءه، وحتى لا يقفز السؤال المعتاد منه: لماذا لا تتوجهين إلى الطبيب لتعرفي ما بك؟

obeikan.com

حمل فاشل

كان الحل الوحيد هو التمهل حتى تهدأ عاصفة النفس التى هبت مؤخراً على حياتها، كل ما في الأمر أن الإعصار يبدأ قويًّا ويستمر وقتا ويموت بطيئا.

كُتب على الروح العذاب حتى أنها غالبا ما ترفض النوم أملا في استنباط فكرة جيدة للغد القادم.

بانسيه صارت تميل نحو الصمت كثيرًا في منزلها، وكأنها تلبس ثوب وقار وحكمة، فما فائدة القول إذا دمر الإعصار من شدته بنيان قلب عاش مملكة واثقة لا تعرف الفشل والانكسار؟ ما تاريخ هذا القلب إذا تولى الإعصار فكرة تغيير المعالم ومسح الأيام بتفصيلاتها ووأد فكرة المشاعر؟ الأسئلة لا تنبت من فراغ أو وجود وقت فارغ لا يجد ما يملؤه، هو مجرد حديث لنفسها التى تقف على حافة الحياة لا تعلم كيف المسير في طريق أساءت له الظلمة ولم تفده نجمات الليل الطويل.

سرعان ما كانت تلملم ملاءة العقل للدخول في مرحلة السكون وبث فكرة النوم مجددًا لأن استكمال

مثل هذه الحوارات الذاتية قد يؤدي إلى الوصول إلى أبواب مغلقة لا حصر لها رغم تفانيها في تجريب كل المفاتيح.

كل هذا الهذيان له سبب، والسبب يصب في بئر جف منذ زمن، و الاستمرار فيه لا طائل منه سوى الألم.

تعرضت بانسيه لتوعكات شديدة وحالات إعياء مستمرة، ونبيل ما بين مسافر وقادم، لا يريد أن يتحمل مسئولية إضافية، وفي ليلة حاسمة اضطرلإحضار الطبيب لها وبعد الكشف طلب منه الطبيب بعض التحاليل ليحمل له الخبر عبر بريده الالكتروني، (مبروك جاءت النتيجة إيجابية دكتور نبيل مبروك زوجتك حامل).

طار من الفرحة، وأخيرًا سيكون له طفل من تلك الجميلة التى انتقاها لتكون أروع واجهة له في الحياة، ولكنه يخفي بداخله أن هذا الانتقاء في نظره فقط لتكون وعاء إنجاب له ليمتد نسله.

وصل نبيل من رحلته الأخيرة حاملا باقات الزهور إلى بانسيه وفرحة في عينيه لم ترها من قبل:

- أخيرا سأصبح أبًا منك يا جميلتي.
- صحيح هل أنا حامل؟ مبروك لنا، الحمد لله .
- كدت أتخيل أنك لا تنجبين، ولكن هانحن على مدى الشهور القادمة سأتفرغ فيها لك وسنسافر لتجديد الحياة.

بالفعل لم يكذب نبيل في وعده أبدًا، سافرا على مدى شهر بأكمله إلى لبنان، ولكن توعكات الحمل المفاجئة بدأت بالتزايد عند بانسيه، انتهت بنزيف حاد لتتحول حياتها إلى أوراقٍ من الجحيم، ليسقط حملها.

أما الحب الذي أوهمها به فقد اختنق بمجرد أن علم من الطبيب أنها لن تستطيع الحمل مرة أخرى.

حيز قلبها المحاط بقوات لحفظ سلامه لم يكن حائلا لنبيل حين تحول غولا ينهشها بمعايرته من وقتٍ لآخر، هذا الحب كان يحتاج مكانًا داخل قلبه قبل أفكاره ليحتله طواعية باستسلامٍ لكل مافي الجسد من تمرد، لكنه عند نبيل مرض في قلبه منها مرضًا شديدًا، وماتت عواطفه تجاه بانسيه.

الحياة الزائفة

سنوات من الخديعة المؤكدة دائما ما تقضُ الطريق كل المتغيرات فيمن حولها صعودًا وهبوطًا ، كان له تأثير مختلف لتبقى الحياة بلا ثبات.
ولكن معها فقط الحياة لا تكف عن إيلامها بكل الوسائل المتاحة والممكنة والمفروضة والمحسوبة، هذه الجناية الحقيقية في حق البشر ونفوسهم حين تتسلط نفس جوعى لتوقع محظورا على نفسٍ ضعيفة.

من مجمل صراخه ونبراته التى أضحت كزلزال يومي يصم الآذان لم تعد تعرف ما فائدة هذا الزواج، ومتى تنتهي قائمة المهام المطلوبة منها كي تنجزها ولا تطيق إنجازها، فهو أبداً لم يعد راضيًا ولا يستريح إلا حين يستلذ بالعذاب الأليم الذي يوقعه على جسدها الهزيل، فما عادت تحتمل، ورغم كل الخدم في الفيلا، في يوم مبكر وجدته يصرخ:

- بانسيه أين الافطار؟ ماذا أصابك بانسيه ألم تعودي تسمعين؟ أين الإفطار أريد النزول مبكرًا اليوم فورائي الكثير لأنجزه.

كانت تسمعه وهي مقبلة عليه متعجبة وصامتة، فهو لايطلب إفطارا أبدا منها إلا في وجود سبب، سألته مستنكرة:

- أليس هناك خدم يقومون بإعداد الإفطار؟ ماالذي دهاك اليوم؟ أليس هناك من يقوم مقامك في المكتب؟ لِم تشعرني بأنه مكتب محاماة لهواة؟؟ ألم تعتد القول إن مكتبك هو من أشهر المكاتب العالمية خاصة في حقوق الانسان، ماالذي يستدعي هذا الاستعجال و لديك كل الحلول من حولك ؟

تأملتْ نظراته المستهجنة لحوارها لتتازع أسئلتها:

زبونة جديدة ربما؟ ولكن هو دائما لديه من الزبائن ممن يستعدون لعمل أي شيء تحت أي بند بلا استحياء، وإن كان السفر جعبة الهاربين إلى إلخطيئة

فهنا لا يتورعون عن اصطياد بعضهم البعض علنا دون تردد.

طال حوارها المعتاد لنفسها:

زواجنا قد امتد الآن لعشرة أعوام بلا أطفال يملؤون المكان ، صراخٌ مستمر، سفرٌ لا يصطحبني معه أبدًا بعد خطيئة سقوط حملي، فراغٌ قاتل عدا دور الأيتام التى أتابعها وحسن الذي يخفف عني ما أراه من وقت لآخر، يريد دوما امرأة تتبعه، وقد خُدعتُ ظنًّا مني أن دفاعه عن حقوق الإنسان وسفره سيجعله أكثر رقيًّا وتحضرًا، لكن العادات البالية لا تزال في رأسه المحنط والمتوقف عند القرن البائد في تبعية المرأة لزوجها دون أحقية ببناء مستقبلها، فهو مستقبل زائف بالنسبة له، أليس الهدف المال من وجهة نظره؟؟ فيترك لي الآلاف من الجنيهات تحت إمرتي، المهم الحفلات والسهرات والسفر، فما الذي حل جديدًا إذن لينبش في قعر مستنقع زواجنا صاحب أركان الانتظار؟!

إن الجداريات المعلقة على الحوائط في الفيلا كانت أشبه بمشاهد الحياة الفاشلة في كل المراحل المتزامنة معه، وعاد الصراخ من نبيل :

- هيا هيا.

لم ترد؛ لأنها غارقة في وهم لا يأتي أبدًا، سارحة في عالم الأحاديث مع النفس.

استردت نفسها على صراخه أخيرًا وأحست بجلبة وضجيج فالتفت في لقطة أخيرة لتجد الطبق الخزفي الذي اشترياه سويًّا من لندن بعد أول لقاء لهما عقب المؤتمر يتطاير نحو رأسها ليسقط جسدها على الأرض .

رأت الدماء النازفة من رأسها ممزوجة بكل التفاصيل المحزنة التى أبت أن تظل هناك وحيدة في قاع رأسها فخرجت لتذهب بعدها في غيبوبة.

على عجلة اتصل نبيل بالمستشفى لإحضار سيارة الاسعاف لتنقل بانسيه من سجن التوحد إلى سجن

العناية المركزة، وقد عمل أكثر من مرة على محاولة الخلاص من هذا الموقف بادعائه مرض زوجته النفسي ومحاولاتها المتكررة للانتحار، وهو المحامي (بحقوق الانسان) يثبت ذلك في محضر بمساعدة معارفه، وكل مرة ينجو بفعلته بلا يأس ينتابه وكل مرة تنجو بانسيه بقوة الإرادة.

إن شحوب وجه بانسيه الذي انتفضت من خلاياه الألوان، وزاوية الاصابة جعلت من طبيب المستشفى متشككًا متحيرًا في موضوع انتحارها، فعادة ما يستخدم المنتحر وسائل أسرع خلاصًا وأقل إيلامًا. سأل الدكتور أيمن نفسه كثيرًا:

- لم تضرب بانسيه نفسها بطبق خزفي؟

تم نقل الدم إلى جسد بانسيه رغم أنه يرفض الظلم المقدم لها في أكياس دماء غريبة لأنها باختصار ترفض الحياة الظالمة.

وأخيرًا تفحص الدكتور أيمن جسدها بعناية لا يوجد إلا آثار كدمات ضعيفة خفيفة الزرقة وأميل إلى الأخضر مما يعني فوات أيامٍ كثيرة عليها وفي أماكن غير اعتيادية؟ هل كان نبيل يضربها؟ سؤال أغرق أيمن في متاهات الحياة الواقعية المريرة، فإن لم يكن خمس وعشرون بالمئة من سيدات المجتمع يوافقن على ضرب أزواجهن لهن وينصعن لهم بصمت، فماهي إذن النسبة الحقيقية؟ هذا ما تعلمه الدكتور أيمن خلال رحلة تعليمه في أمريكا، وشعورٌ مرعب انتابه بالفعل خاصة أن بانسيه تواجه خطر الموت لعمق الإصابة في الرأس رغم نجاح العملية، ولكنه عجز عن إيقاف النزيف الروحي لأن الخيبة تقف حائلا في الطريق مما يجعلها في مرحلة خطر قد تودي بحياتها.

توجه دكتور أيمن مراغي سريعًا إلى إدارة المستشفى لإعادة فتح التحقيق مع زوج بانسيه نبيل عبد السلام مشهور، وبدأ الصراع.

فتحت بانسيه عينيها على ضوء شديد ومباشر، فابتسم أيمن وهو يقف قبالتها وكأن البالطو الأبيض الذي يرتديه يشكل جوهرًا ملائكيًّا لها ، يمسك بيديه تقاريرها ويضع سماعته حول رقبته قائلا:

- حمدًا لله على سلامتك كدت أفقد الأمل في عودتك للحياة لكني ابتهلت إلى الله أن أراك على ما يرام، وها أنت بخير.

- شكرا دكتور.....

- أيمن مراغي الطبيب المناوب في المستشفى، أتيتِ بحالة صعبة، ولكن الله وفقني في إيقاف نزيفك الذي يسيل من رأسك المقاتلة للوجع، أنت مقاتلة قوية ومتشبثة بالحياة.

تأملته بانسيه بعدما أسندت رأسها على وسادة خيبتها قائلة بصوت مرتعش:

- وهل اتهمني زوجي بالانتحار؟

وسط دهشة الدكتور أيمن أردفت قائلة:

- نعم، نعم ، لا تستغرب هو ذاك، كلما حاولت الصمود وتخطي مصاعب الحياة بيننا حاول الخلاص مني.

- ولم لا يطلقك وتنتهي المسألة ، لم يتهمك بالانتحار؟

في ابتسامة واهنة أجابت بانسيه :

- أتعتقد أن الدكتور نبيل عبدالسلام مشهور المحامي الدولي لحقوق الانسان في الأمم المتحدة يستطيع أن يعترف بفشله، هل تعتقد أن من تربى تربية ريفية بحتة وورث إرثًا تغذى فيه على فكرة أن الرجل عليه أن يتسيد المرأة ويقهرها مهما بلغت من مراتب التعليم بإمكانه أن يتنازل عن ممتلكاته ويطلقني؟ أو حتى ان يسمح لي بخلعه وأمضي في حياتي؟!

نظر لها الدكتور ايمن بكل غرابة ، وكأنه يسمع عن حقبٍ ميتة من أزمانٍ منتهية وقاطع هذا الاندهاش استدعاء المدير له عبر الهاتف :

- آسف استأذن منك لنكمل حورانا لاحقا.

استوقفته لتناشد اللقطة الأخيرة في بريق أملها:

- أشكر جهدك في مساعدتي لأكون على ما يرام دكتور أيمن، فقط أريد أن تتأكد بأنهم لن يسمحوا لنا بحوارٍ آخر، ولن يكون إلا ما منحه القدر لي لتستمر دورة الظلم حتى حين.
- سأجتهد لأصل للحقيقة ولرفع الظلم إن استطعت.

وعلى عجلة غادر الدكتور أيمن غرفة بانسيه إلى الإدارة وتابعته بعينيها الواهنتين حتى اختفى عن أنظارها.

في غرفته جلس الدكتور سيد على مكتبه الأنيق وطُرق الدكتور أيمن الباب فجاءه الرد :

- تفضل.

وما إن شاهد الدكتور أيمن بالباب حتى هب واقفا ليقول:

- دكتور أيمن من فضلك اسحب تقريرك الخاص ببانسيه لا نريد مزيدًا من المشاكل، إن ما كتبته سيضعني في موقف غاية في الحرج مع الدكتور نبيل مشهور خاصة أنه أحد أعضاء مجلس إدارة المستشفى.
- ماذا تعني بسحب التقرير؟ أنا لن اسحب تقريري الذي كتبته بما أملاه عليّ ضميري وبما رأيته من تجاوزات

إن كان هناك ملامة ،فعلى الدكتور نبيل أن يُلام بل ويعاقب عما فعل بزوجته التي كادت أن تذهب ضحية تصرفاته الرعناء، وشتان بين ظالم ومظلوم.

لكن الحوار الذي دار طويلا بينهما لم يكن نتيجته سوى أن انتهى بفصل الدكتور أيمن من المستشفى لينجو نبيل بفعلته ككل مرة.

وتظل تتكهن عن سر مرورها على بيت قلبه لكنها أبدًا لم تسكنه ، وتتندر حين يعلو موج النبض الحائر بين تاجها وشريانها ما موقع حبه لها من الإعراب؟ أو كان حبًّا حقيقيًّا أم حبًّا للتملك؟ متى تتزلزل جماديات القلب عنده وقسوة التفاعلات لتعود كما أول نظرة.

لِم التحايل على الوجيعة بالطبطبة اللامرئية؟ من سيطلع على ندب قلبها ليعرف أن الاجابة لا أحد فأين يكمن الضعف إذا كان البدء كلمة والحب كلمة والصدقة بالكلمة الطيبة.

هذه الأنا الخاصة ببانسيه تسلقت على أكتافها موجوعة حتى الثمالة، لا يوجد ما يُسكنها أو يميت أوجاعها، هذه الأنا الهاربة من كل شيء بحثًا عن كل شيء لأن المنطقي والمقبول والمعقول لم يعد في متناول أحد.

العودة لفيلا الزوجية

كانت العودة إلى البيت بعد غياب طويل وصراع مع إعادة حياتها المقتصة، ذاك البيت الذي يشبه قطعة فنية معمارية نادرة تكسوه الجدران الحجرية مما يلفت الانتباه لكل المارين جواره، المحيطون جميعهم كانوا يحسدونها على هذا المكان، سواء عرفوها أو لم يعرفوها.

ظلت تنظر بعينيها الذابلتين نحو الأركان، كانت الأشياء كما تركتها والحوائط الحجرية بنفس الرونق، السجاد الايراني الذي اشترته مع نبيل من المعارض الدولية حين كانا في شهر العسل، بنفس روعة ألوانه وكأنها بالأمس وضعته في فيلا الزوجية.

الإنارة الخافتة التى تحيل المشهد إلى رومانسية غير مألوفة، الورود تملأ المكان بعبق عبيرها الآسر، وفجأة خصرها النحيل يحاط بيديه وقبلة على رقبتها وهمس في أذنها:

- ما رأيك؟

- وكأنني لم أغب مطلقا عن البيت، وكل الورود التى أحبها.
- حمدًا لله على سلامتك، لا تكرري الفرصة باستثارة غضبي مرة أخرى فأنا أحبك.

ولتهرب من كل شيء أوهمته بأنها لا تتذكر:

- ماذا حدث أصلا؟ أشعر بفاصل زمني سحيق بيني وبين الأحداث والذكريات.
- لا عليك لم يحدث شيء، المهم أنك بخير.

طبع نبيل قبلة أخرى على شفتيها وأمسك بيديها صاعدًا للدور العلوي بعد أن ترك تعليماته بصرف الخدم جميعهم مبكرًا، إذ لابد مع كل عودة أن يثبت نبيل لنفسه أنه مسيطر على كل شيء ومتسيد للموقف، هذا التسيد يبدأ من لحظة إغلاق باب غرفة نومهما ومرورًا بأنامله وشفتيه على جسدها ليلتهم تفاصيلها التي يشتاق إليها، فهو يعشق ذلك ويرى فيه متعة خاصة يغرق في استسلامها رغم قسوة معاملته لها، حتى ينتهي الأمر بسماع صوت شخيره الذي يقض مضجع نوم بانسيه لتظل ساهرة تفكر، هل حقًا كان متسيدًا للموقف؟ هل أوسع لرغبته فرصة كي يقنعها أنه يسري في جسدها كما تسري الدماء، وعليه فلا فكاك ولا خلاص من عذاباتها وهي

مستسلمة، نعم مستسلمة، فما جدوى اغتصاب رغبتها وهي للتو عائدة من المستشفى؟ وما فائدة صمتها المنسكب في كأس ثمالاته من عشق الأخريات، هل هي امرأة كبقيتهن، هل الفارق ورقة؟ هل يتحقق لهن المتعة معه ويتحقق إمتاعه معها هي فقط؟

لم تفهم أبدًا لِمَاذا لم يكن هناك حيلة للنوم ليخمد حرائق الوجع التى استبدت بجسدها الهزيل، فليت للانفصال عن الوعي حرية السباحة في عالمٍ يتوازى مع ما تريد ليتحقق لها ما تتمنى، لكنها رفعت الغطاء لتُداري عُري فشلها، فهي لم تتمكن يومًا من استحضار لحظة من نشوة.

إنها مجرد كائن جُرد من حقوقه المشروعة مع من اعتلى المناصب واختير كمدافع عن حقوق الانسان، لِم تلك المفارقة الغريبة ؟ هل الرجل لا يرى المرأة إنسانًا له حقوق؟! إذن عمن يدافع الدكتور نبيل؟

حوار عبر رسالة الكترونية

يصطلي القلب المحب حين يمسي غاضبًا ويصحو على غير الاعتياد هادئًا مطمئنًا، فقد أوشكت الأحاسيس الرقيقة على فراق الروح حين تناوبت دورات الوجع والتخبط على ذاك القلب المسكين، وتعالت فيه أصوات الرجاء أن دعها وارحل عنها ، لأن الخسائر المتوالية تسحب من رصيد تواجد نبيل لها ليصبح مدينًا لحياتها .

الأرق الذي حلق في مكنونات الأيام المهدرة من تكامل البشر بات منزعجًا من تكرار الزيارة عليها، وقد أشفق على روحها التى أهمل هو الاعتناء بها ليتصاعد النبض صارخا متفقدًا وجوده، و صارت على يقين بأنها أدمنته كعذاب مقيم، فتظل مستيقظة طيلة توقيتٍ لا يكف عن الدوران وهو بعيدٌ بعيد جدًا، يحتال على الساعة بالغياب والبعد وتختال هي بالحالة التى تردّت في صدرها.

هذا الغيابُ الذي هو فكرة الناجين من موت الاحتياج ، فكرة الباحثين عن خروجٍ آمن بعد الذبول، فكرة المحترقين بالوجع والرافضين

الاعتراف فهي لا تتبنى العمق، لكنها تصنع الفارق الأخير بين شبه الحياة وبين شبه الموت.

على حافة هذا الوجع نهارٌ لا يكترث بحضورها، وليلٌ يجبرها على عدّ النجوم في سماء حيرتها، فلم تكن الإشارات حتمًا كافية لإيصال مفاهيم الرجاء والخضوع من قلب عز بكبريائه عن تيمم الفرح من جوف قلبٍ جف ماؤه وتمحورت اهتماماته حول فلك الذات.

لا البعد ولا المسافات ، لا الغياب ولا الحضور الشكلي للقلب هو مربط الاختناق، إنما تلك المشاعر التى تذوب توقًا لطبطبةٍ متفردة تحمل رائحة الحنين وعطر الشوق.

هذه المرة مشاعرها هي المتحدثة الرسمية باسم السكينة والهدوء، لفتةٌ راقية أن تطبع قِبلةٌ اهتمام على جبين صبرها وتمسك بيديها لتجذبها نحو الصعود إلى أفق السماء الثامنة وما بعدها، لتصل ربما إلى سدرة قلبه حيث لا يملك سواها رسولا لمدائن العشق التى يحكمها.

كتبت له تقول:

أكتب لك رسالة لم أكن اتخيل أبدًا اضطراري لها لقطع ظنوني بسيف مواجهتك، ولكن غيابك المتعمد وعدم قدرتك على مواجهتي بالهروب الدائم حدا بي لكتابة تلك السطور، فاقرأها وتمعن فيها جيدًا لأنني لم أعد أطيق ما يدور بي؛ أربعة فصول غادرة موجعة:

١- الانتظار

ليل روحي الذي هلّ علي مدججا بالقلق، وقنبلتك اليدوية الموقوتة التى زرعت في عقارب الوقت المعلق فيما بيننا، صنعت مني تمثالا يضاف إلى جماليات فيلتك الحجرية.

٢- المواجهة

نظراتي الواثقة حين نلتف حول مائدة حساب لأعلن انتصار حدود ثغري لابتسامة مكرٍ وتهكم ، ومرآتي التى انحنت احترامًا لانتفاضة الكرامة في مواجهة

الخداع، وفي كل مرة تتكر الخيانة وتوهمني بما تنكره روحي أن تتعايش معه.

٣- الخيانة

تراكيب لتفاصيل حدث مسبقة في مواجهة القدر تنبئني بما لم تستدعني له الصدفة كحفنة مشاعر مستنفرة تدلف مخدع الوهم، وتتدلى من سقف الحقيقة، في كل مرة زبونة جديدة تدخل حياتك وتملؤها حبًّا زائفًا أو حقيقيًّا لا أدري، تعيش وهم الاقتناع بالرغبة، وتتقن قتلي بورقة نافذة من كوني زوجتك وواجهتك أمام البشر، صلاحية وجود كل واحدة لا يتخطى الثلاثة شهور لتقفز لواحدة وأخرى وهكذا، هل تعتقد صمتي جهلا، أنا أعلم المجمل ولا أعلم التفاصيل، تدور حولك الشكوك والظنون، تأتيني الأخبار متبرعة ممن يعملون معك، وأنا في مخدعي ، أنتظر الخدعة الكبرى.

٤- الغيرة

أمازلتَ تقرأ؟ لكنك تصنع من تجاهلك لي شبحًـــــا

يطارد كل جديد لتستميل روحك نحو قيظ الغيرة التى ستفتك بك، من قال إن كيد النساء أقوى من قهر الرجال؟ من سمح للسيف المنسل خفية أن يستلذ بالدماء المهدرة؟ من أفرد للقناعات رواقًا من الإهانات المنظورة والمحسوسة والكامنة وأنت تستهل الحكايا لأقتبس منك الليالي، وأمارس عليك دور مسرور مع كل غروب لما شققت في نفسي من وجع.

مَن منح عش ضميرك الضرير عصا موسى كي لا أستجير بضميري البصير؟ كل(مَن) تتناوب على ظهري كسوطٍ من عذابٍ تُلجم المفردات بعدها كي لا أستغيث، هل حقا تجاوزت محنة الانصياع إلى مقهورات الزمن التى صنعتك وصنعت من أمثالك دوائر سؤال؟ أما الحب فهو الفصل الوحيد الذي خُيل لي أني أفهمه ، وأنك تعشق خطواتي التى أدب بها على الأرض، فأقنعت وصلة القلب الرابطة بالعقل أن أخلع عن مشاعري ثوب اختباء لأصنعك ثوب اختبائي، ولكن ماذا استفدت؟ تظل الغيرة تشنق

العلاقة بيننا، وتظل الخيانة فيصل انتهاء لهذا الزواج.

آثرت أن أراسلك عبر بريد إلكتروني، فهو لا يحمل من العواطف شيئًا لا منك ولا مني، وليس فيه عطري ولا خط يدي المترددِ ولا أشواقي الموهومة و المعلقة على جناح الوقت لتملأ أنت بأسلوبك الرشيق فراغات الرسالة، فقط لتتوقف بينك وبين نفسك الحائرة تسألها عن حجة جديدة تصنعها لي لتوهمني بانشغالك، لتعيد حساباتك في بورصة قلبك الخضراء، فقلما تتخضب بالأحمر حيث لا يأس عندك مادام هناك فرصة سريعة لتعويض خسارة حتمية في مجموع أسهم الحب وتداولاته.

الحب لديك عزيزي ممارسات بكل ألوان الطيف، ينتظرك خلف غيمة وحيدة كلما رضيت عنك سماء الأنانية وأمطار الغرور، تهيم على بساط فكرة منحتك يوما وثيقة الحرية بمفهومٍ أحمق.

الصديقة

انطلقت بانسيه بسيارتها نحو منطقة المشهد الحسيني حيث مسجد الحسين ومقام السيدة فاطمة وبازارات الحسين المعتادة ، حاولت جاهدة دخول الشارع الضيق المزدحم، لتصل للحارة التى بها دربٌ يسمى "أم الغلام" لتسأل عن بيتٍ أثري لم تسمع به من قبل يقال له (بيت حُسْن)، دعيت إليه لحفل افتتاحه وإعادة تجديده، وبمجرد أن لامست قدماها أرض الحارة ولمحت عيناها يافطة بيت حسن حتى احتضت الماضي بكل تفاصيله، بوابة شديدة البأس دلفت فيها لتجد كل ما فيها يشير إلى عقلها ليسجل أسئلتها وتبدأ الرحلة.

تلك الرائحة الغريبة التى تملأ الأنوف من رطوبة ممزوجة بكل ما مر به هذا البيت عبر التاريخ، ساقها إلى البدروم، تفاجأت بفنانين ومهتمين ولوحات، تركيبة متداخلة أشعرتها بالسعادة فليس غريبًا على مصر وجود هذا الذوق الرفيع من ترميم للبيوت الأثرية وافتتاحها بأن يكون للفن نصيب رفيع.

لم تترك زاوية لم تتحسسها بعين المتذوق و المعنِي بأمور التركيب الفني والمعماري للبيت، لم تجد نفسها إلا وسط زخم من الجمال المنتقى وبالافتتاح تهيأ لها أن الدعوة كانت لشق صخرة التاريخ عن مكان لم يسمع به الكثيرون يستحق السياحة والتأمل.

ها هي الأبواب مرتفعة جدًا ، ألوان الزجاج الرائع والمشربيات التى نادرًا ما تحظى برؤية مثلها هذه الأيام، السقوف الخشبية محفورة و أعمدة أخرى لأسقف خشيبة وسط الأحجار، وعمودان على التراس من خشب لم تتبين نوعه يزين المكان ما الذي لم يشد انتباهها؟ كل شيء في هذا المكان مختلف، كل الزوايا، السلالم العالية، أطقم الصالونات العتيقة المدخل، ماهذه الروعة؟

جلست أخيرًا إلى إحدى الطاولات وأغمضت عينيها وتخيلت نفسها للحظة سيدة المكان واشتعلت موسيقى الطرب وأم كلثوم تغني "بعيد عنك حياتي عذاب ما تبعدنيش بعيد عنك"، حتى جاء الأستاذ اسماعيل يوسف والذي كان زميلا لها في لندن خلال تحضيرها للدكتوراة، وهو الذي قام بدعوتها للاحتفال، ترافقه سيدة بيضاء اللون، لها قوام كفرسٍ

جامحة ولها عينان عسليتان ببريق جميل يعكس ذكاء متقدًا تخفيه خلف حجابها الوردي وتلبس بدلة رمادية اللون، وقميصًا ورديًّا مخططًا يعكس ذوقها الراقي في الانتقاء.

هلل إسماعيل ترحيبًا:

- مرحبا دكتورة بانسيه، دعيني أعرفك على واحدة من متقنات الفن التشكيلي ياسمين، فهي فنانة تشكيلية معروفة في وسطنا الفني وبالتأكيد رأيت لوحاتها في المعرض.

ابتسمت بانسيه، وانفرجت أساريرها وكأنها وجدت كنزًا مفقودًا منذ زمن لتقول :

- مرحبا ياسمين كم رائع هذا المعرض التشكيلي المختلط بعبق التاريخ ، كيف يا أستاذ اسماعيل لم أحظ بفرصة كهذه من قبل؟

- دكتورة بانسيه ، منذ زواجك وأنت تخيرتِ الابتعاد وأنا أحاول من آن لآخر أن أشدك إلى ما تحبين وترتوي به روحك، ولكنك صعبة المراس وعنيدة.

- أنت تعلم زوجي نبيل لا يحب خروجي كثيرًا من الفيلا إلا لجهات محددة، كأنه يخاف من اطلاعي على هذا العالم الكبير دونه ، أشعر بثقل شديد طيلة وجوده، ولكن سفره من آن لآخر ربما كان فرصة لألتقيك اليوم وأشاهد كل هذا الجمال وأتعرف بياسمين صديقتك.

توجه إسماعيل لياسمين قائلا:

- بانسيه مهندسة متفوقة جدًا، كانت معي في لندن، ولكن هي تزوجت نبيل المحامي بحقوق الانسان في الأمم المتحدة، ومنذ زواجهما نادرًا ما ألتقيها، رغم اهتمامها بالفن التشكيلي وعشقها لكل جميل ولكن ماذا أفعل؟ ها قد واتتنا الفرصة اليوم للالتقاء.

كانت بانسيه تنظر لها باهتمام شديد وكأنها تحاول قراءتها، أو تبحث عن شيء ما بداخلها، فطالت السهرة هناك والضحكات، ولم تكن تعلم أن تلك المقابلة هي لحظة فارقة لها في الحياة.

لقد أصبحت ياسمين الملجأ والملاذ لتحكي لها كل ما ينتابها من ألم، تقاربا لشدة التشابه بينهما في حب

الأشياء بالإضافة إلى كون ياسمين رقيقة وحساسة مثلها ، ومنذ التقائهما سويًّا في معرض الفنون التشكيلية في بيت حسن وتجاذب فكري ووجداني جمعهما، ومع مرور الأيام أصبح تواجدهما سويًّا أشبه بالصباح الذي يأتي كل يوم.

كانت بانسيه دومًا ما تقتنص فرصة غياب نبيل في سفره، ليلتقيا ويتبادلا الآراء والأفكار حول ماهية هذه الحياة التعسة التى فرضت عليها من واقع ما حُملت به من آلام مستمرة بزواج وُهمت به أن نبيل يحبها، ولكن الوقائع لا يوجد فيها سوى حب الامتلاك والرغبة في اقتناء تحفة جميلة مثلها.

ياسمين ترياق الصبر الذي رزقت، فهي مستمعة جيدة وناصحة أمينة في خضم آلاف المعارف الذين يترددون لها لمصالح تربطهم بنبيل أو لحضور الحفلات التى يقوم بها في فيلته الراقية التى تقبع في مصر الجديدة.

تواعدا مرة أخرى على اللقاء في المكان الذي جمع بينهما أول مرة، فبانسيه ترى فيه ما لا يراه غيرها، وترتاح نفسيًّا لهدوئه رغم وجوده في الحسين، المنطقة التى تعج بالبشر ليل نهار.

فهي تسمع المكان يناديها ويستهل استقباله لأوجاعها قبل أن يضمها ضمة الاشتياق المعتادة التى أثرت في قلبها تأثيرًا إيجابيا كأول مرة، فهي الموجوعة من الافتقاد لكل شيء، ورغم ذلك تمشي بثقة نحوه لأنها تريده كما يريدها، لم تفتح الباب لتدخل فقد ارتمت في أحضانه وكأنها أتت تشتكي زمانها لزمانه، كان موعدها مع ياسمين يشدها للجلوس لكنها آثرت أن تتنقل هنا وهناك وكأنها تتفحص معالمه من جديد، خاصة أن الشمس قاربت على المغيب، ولقطة خيالية جعلت روحها تبدأ بالتحليق بكل الحب حول المكان من جديد، الساعة التى قاربت الخامسة والنصف مساءً جعلت الانتظار يعدو بسرعة فهي مشغولة بما يحيطها، تتنفس هواء البيت وتلبس ثوب الماضي الذي يقتطع من ذاكرتها

الحديثة ، وانفصلت عن الواقع محاولة تفنيد تلك العلاقة الوطيدة بينها وبين هذا البيت القديم.

كان عليها أن تستنفد وقتها المنزوع من الوحدة لتشعر بقطرات سعادة لاتتكرر، فأركانه الثابتة هزت أركانها الضعيفة في ثنايا قلبها، وواجهتها برحمة ولم تكف عن الأسئلة لنفسها:

- أين تلك الابتسامة الحانية التى دومًا ما اعتلت سقف الهزائم؟ أين تلك الثقة التى هزت أرجاء الماضي المعبق بالتاريخ في أول لقاء؟ أين تلك الالتفاتة والتفاصيل المتواترة بداخلي عن سعادة لا منتهية في زمنٍ مفقود؟ أين وأين وأين...؟ جئتك كالطفل الباحث عن حضن افتقاد لغيبة في نفسي وراء نوافذ الأخبار والأحداث، كاللاجئ أتمسح بجدارك لتحل عليّ بركة الاتزان، كعابر سبيلٍ يطمع منك بشربة ماءٍ زمزمية، كالممسوس يتلمس العلاج في مصاحبتك.

وبينما تتأرجح بها الموسيقى العبقرية التى تغنى بها عبد الحليم بصوته الحالم عبر السماعات المتواجدة على الأركان "جلست والخوف بعينيها، تتأمل فنجاني المقلوب، قالت يا ولدي لا تحزن" ، لتسمع صوتا آتيا من قريب مكانيًا لكنه أبعد مايكون عن روحها المحلقة من لحظة الدخول، لكنه أودعها قليلا من التركيز، إنها ياسمين تقول ضاحكة:

- هل أنت ضحية فنجانٍ شربته ولم تتعلمي كيف تقرئينه؟!

ضحكت بانسيه كثيرًا وقامت لتأخذ ياسمين بالأحضان وبتلقائيتها المعتادة تقول:

- هذا البيت يحسن استقبال نفسيتي المتأرجحة بين روح المسامحة وروح الثأر الذي بدد أهدافه في صراعٍ بلا هدف، ولمعتقدٍ بلا نصوص لقد ضممت أفكاري إليّ كي لاتضيع مع خارطة المكان، وحين أطالع المشربية في الدور العلوي أتخيلني سيدة هذا المكان.

- سيدة المكان؟ وما بال فيلتك الجميلة؟ فهي تشبه هذا المكان وأكثر، وأنت تعلمين نظرتي، لك ذوق رفيع في انتقاء الأشياء هناك .

- ياسمين ... هذا المكان عامر بالحياة بأرواح حلوة، الفيلا عندي مملوءة بالأشباح، باردة بلا روح رغم أنني أحبها لكنها صارت سجني الدائم.

قاطعهما وصول الجرسون بإبريق الشاي الذي تنتظره بانسيه، لم تعبأ بالشاي قدر تركيزها على فكرة الاسم المحفور عليه، مما جعلها تتأكد كم كان الرواد محظوظين بعد الافتتاح بتلك العطية، فروح البيت ترافقهم فردًا فردًا، والتفت الجرسون إلى ياسمين :

- ماذا ستشربين سيدتي؟

- قهوة من فضلك ... سادة، فلا بد أن أرى فنجاني المقلوب بعدها.

ضحكا معا وبانسيه لم تدع تلك اللفتة تفوتها، فهي تتابع النغمات المترددة بتركيز لتقول:

- الآن يغني لي عبد الوهاب "يامسافر وحدك، يامسافر وحدك وفايتني ليه تبعد عني، ليه تبعد عني وتشغلني، ودعني من غير ما تسلم، وكفاية قلبي أنا مسلّم".

تبسمت بعدها ابتسامة تعني لها الكثير من الفهم لقدرية اللقاء والألحان، فسافرت إليه حتما كما أمرها بلا نهاية.

دار الحديث طويلا عما يشغل خلد بانسيه:

- ما أصعب العيش في رغد حياة مادية خالية من العواطف والأحاسيس الحميمة التى أحلم بها طوال عمرى على مر السنين خصوصًا بعد وفاة والدي، فبفقده بُترت حياتي ولم تعد مكتملة الأطراف، فما بالك بعد موت والدتي انشق صدري بالأوجاع للأبد. الخسارات تأتي تباعا، هجرة عائشة المفاجئة لكندا

وانقطاع أخبارها ومقاطعة وجدي، وخيانة من جهة نبيل تجعل الشكوك تحاصرني باستمرار وكذلك الحنين لطفل أكون أنا أمه.

ياسمين وقد تفهمت ذلك جيدًا فهي الأم لولد في السادسة من عمره وبنت في الرابعة من عمرها، ومع ذلك كانت تتجنب الحديث عنهما بكثرة أمام بانسيه ربما خوفا على مشاعرها أو خوفا من الحسد، لكنها كانت بمثابة البلسم الذي يداوي دومًا جراحها، فالإنصات من جهتها كان كمعالجة الطبيب لروحٍ تناوبت عليها الصراعات والمحن، والنصائح الأمينة كانت كمن يسقي وردًا ذابلا من ماء الحياة ليصمد أمام عاصفة الأوجاع التى تهب مع رياح الاختلافات.

المولد

تقابلت بانسيه وياسمين من جديد ذات مساء على مقربة من الحسين، ودخلا ليصليا سويًّا صلاة العشاء وتبتهل إلى الله كي يرزقها الولد، هذا الولد الذي صبرت كثيرًا ولم يأتِ أبدا، وهل لله حكمة كي لا تنجب، ياسمين كانت تقرؤها جيدًا، وكانت تعلم أن هذا الأمر يؤرقها كثيرًا، ففكرت أن المولد فرصة للذهاب والصلاة والدعاء بعيدًا عن كل شيء، لم يكن يلفت نظر بانسيه في هذا المساء إلا كل شيء يحدث من المصليات والمتعبدات هناك وتلفتت لياسمين متساءلة:

- مابال تلك الوجوه المتعبة من مشقة الحياة ومستلزمات الوجع، منهم من يدعو، ومنهم من دخل نحو الضريح ليتمسح به ويدعو، منهم من يعبد الله على حق ومن يعبده عن باطل؟

- وكيف لي أن أعرف ؟

- ولكني أراك تفعلين مثلهم ياسمين، هل هذا التمسح بالضريح يفيد، ولماذا لا تدعون الله وحده دون حجاب، لم تعتقدون أن الوليَّ سينقذكم وأن دعاءكم لابد له من وسيط؟

- اتركي عنك أسئلتك، فاليوم المولد وهذه مناسبة أنت لم تريْ مثلها من قبل، هيا هيا، دعينا نتمشى في وسط هذا الصخب، ونتفاعل معهم ونحظى بوقتٍ ممتع.

خرجتا من المسجد وسط زحامٍ شديد لا أول له ولا آخر، والشوادر قد نُصبت، والأصوات قد ارتفعت بالابتهالات، ولكن لم تذهب ذاتها هناك أبدا، لم تر ما قد رأت من قبل حين زارت البيت الأثري القابع في حارة أم الغلام، بل لم تسمع بانسيه عن تلك الموالد أبدًا إلا في الأفلام العربية التى كانت تشاهدها عبر التلفزيون، ولم يُشكّل في ذهنها أية حادثة أو خبر عما يدور.

ها هي وسط الزخم الشديد من البشر، وسط الابتهالات والدعوات، وسط الجموع اللامحدودة وسط نسائم باردةٍ لدعواتٍ ترجو الإجابة، وسط الأرواح المحلقة في ملكوت هدفها، وما أدراك ما ملكوتها؟! فكلٌ يغني على ليلاه، لتجد البائع والشاري، العاطي والمعطي، الروح والجسد، الصلاة على النبي والمدد، وأفواجٌ تبتغي الفَرَج والولد.

يااااه تنظر هناك فلا أحد ، الهائمون بلا اتجاه والباحثون عن النجاة ، يُقدَّم لك الطعام والشراب لوجه الإله ، تبحث عن ذاتٍ تركتها خلفه ، قبل أن تتكيء على حزنها، تتفحص العيون الراضية وهي تعيرها الاهتمام وتغطي أوجاعها كي تنسى.

يااااااه مولد وصاحبه غائب فعلا كما سمعت من قبل في فيلم المولد، أصواتٌ فاقت حد الارتفاع والصخب، أبواقٌ فشلت في اجتذاب قلبها و لكن كرمًا أوقعها في حضرة البساطة فلانت لهم

وتوضأت بكأسٍ أرواحهم السخية وقضت الليل وياسمين في سموٍ وارتفاعٍ نفسي، كانت وحدها رغم الجموع الغفيرة، رغم وجود ياسمين والعيون الذاكرة والصابرة، آلت على نفسها أن تبقى في هذه الحضرة حتى بعد المغادرة، فمشهد المولد في الحسين الشريف، حيث المسجد الأثري والصوانات المتعددة، وصراعات الروح وهي تحاول أن تخاطب الجسد الممدد في المقام، يودع كل واحد منهم مكنونات صدره في جبّته، ولا يغفل فقد أوجعتُهُ الغفلة طويلا.

هنا ربما كانت ذاتًا أخرى لا تعلمها، ولا ترغب في اختفائها، غير تلك التى فارقتها فعادت للمنزل ونامت يومًا كاملا باستغراق واستغراب لأنها لم تعرف للنوم طعمًا منذ مدة، منذ عرفت أن حياتها الشائكة لا انتهاء لها بإرادتها.

تقلبت في سريرها لتفيق وقبل أن تتناول الافطار جلست تحاول أن تناوش هواجس الأفكار وتناولت هاتفها واتصلت بياسمين:

- صباح الخير يا روحًا تشتاق لحياة المتفائلين لتنتظر إقبال الربيع على جناح يمامة لتُزهر، كلما رأت تلك عيونك الراضية، وتشق صفحة السماء بإشراقٍ وحنين.

هذا المساء الذي مضى أخبرني الطير عن ثنايا المحبة المخبوءة بقلبك يا ياسمين، يا شقيقة الروح فهيا أعدّي لنا مجلس أُنسٍ يجمعنا .

ضحكت ياسمين من هذه الكلمات الرقيقة التى جعلت من بانسيه عصفورة تطير بجناحيها نحو السماء:

- كل هذا من تأثير المولد؟

- لا بل هو تأثير رفقتك، لولاك ما كنت سأفعل؟ وكيف لي أن أعرف كل تلك الأحداث التى ما عهدتها إلا في الأفلام.

- أتمنى من الله أن يصلح أحوالك ويديم محبتنا ويرزقك راحة البال.

- آمين أنا وأنت ، لا تنسي موعدنا ولكن هذه المرة في المهندسين.
- أكيد.
- إلى لقاء.

obeikan.com

المقهى والذكريات

من جديد كانت ياسمين وبانسيه على موعد في أحد المقاهي المشهورة في المهندسين هذه المرة، لم يكن يميزه ليكون كبيرًا سوى أن الفنانين أحيانا يجتمعون فيه بعد منتصف كل ليل، ورغم نومها الطويل والمستغرق في الليلة السابقة كأنها ماتت يومًا طويلا إلا أنه لقاء لا بد منه.

نزلت بانسيه متفائلة ومتبخترة كعادتها ترتدي هذا البنطال الأبيض الذي لا يخفي قدر ما يكشف منها من شدة الضيق، وقميصها الأزرق المبتهج تبرقشه نقاطٌ من الأحمر والأصفر وينتهي عند خصرها النحيل حتى يصنع قطعة فنية لا محالة إذا ما قُدر لأحدهم الاقتراب منها أن يراها تمشي كما مشية الثقة تذبح الفكرة في مكانٍ يرتاده الجميع من كافة المستويات، عيون الرجال تنهش وعيون النساء تحملق وهي لا تبالي بأي شيء.

حضرت ياسمين مبكرة عن موعدها، وفي غضون لحظات جلست في مكان انتقته لبانسيه بعيدًا نوعًا ما عن الزحام لأنها تعلم مدى حب صديقتها للهدوء، ظلت تنتظر وتنتظر حتى قلقت لأن بانسيه تعودت الحفاظ على مواعيدها ولم تكن أبدا لتخلفه.أخرجت هاتفها لتتصل ببانسيه بعدما داهمتها كل الأفكار السيئة، وفي ذات اللحظة سمعت وراءها من يتساءل:

- ماذا تفعلين؟
- كنت قلقة من أجلك، حمدًا لله على سلامتك، لماذا تأخرت ليس من عادتك أن تفعلي ذلك.
- ياسمين... كفي عن قلقك المعتاد، كنت عند الطبيب أحاول أن أجد مخرجا لمأزق أنني لن أكون أما أبدًا، تألمت لأن ليس بيده شيء يستطيع أن يفعله حيالي، أخبرني أن التصاقات الرحم تقف حائلا دون أمومتي، لن أكون أما أبدا ياسمين.
- بانسيه... أعلم مدى ألمك، ولكننا تحاورنا حول هذا الأمر مئات المرات، أنا لا اريد إحباطك، ولكنك

obeikandl.com

ذهبت للعشرات وكلهم اتفقوا على نفس الأمر ، ثم ألم تقولي إن نبيل خائن وليس له أمان، فلماذا ترغبين في أن تنجبي منه أطفالا؟ أنا لا أفهمك.

- هو الصراع عزيزتي، فالحلم بالأمومة أشبه بتحقيق المستحيلات، ولأني لست سوى زوجة مخدوعة كما يظن نبيل، فكنت أريد أن أدفن صراعاتي داخل دائرة أخرى تعينني على تحمل ما أراه إضافة إلى اللاخلاص.
- إن كنت ترين هذا حلا، فأنا أراه انتحارًا آخر كالذي يتعمد أن يفعله بك، ولربما لم يعد مكترثًا لإنجابك، هل دار في خلدك هذا السؤال؟
- نبيل لا يعبأ سوى بأمرين المال والنساء، وأنا بسبب سطوته المستمرة علي، لا أريد أن أتحداه وأتقدم بالخلع ، أريد سلامًا ولكنه لا يكف عن استمالتي للغيرة، فهو يعلم تماما أن أشد ما يقتلني هي علاقاته مع الزبائن من هنا وهناك، ولكنني ألاحظ أنه يتعمد أحيانا إدارة حوار مع إحداهن أمامي لدرجة أني

أتخيل أنه مريض، يتباهى بعلاقاته أمامي، ويريدني ألا أحرك ساكنًا، أو أظل دائرة في فلكه كالتائه مع دوامات البحر.

- بانسيه ... لقد سئمت تلك المشكلة المتكررة، حفظتها عن ظهر قلب، إلى أين ستذهبين بروحك تلك؟ أين مشاريعك التى كنا نتحدث عنها في الماضي القريب؟ أين الدكتوراة التى علقتِ شهادتها على الحائط؟ لم أنت مقيدة بهذا الشكل وتلك الدائرة الضيقة؟ لم تحاصرين نفسك بين الأوجاع ودور الأيتام ونبيل؟ الوقت الممل الطويل الذي تملكينه هو السبب فيما أنت فيه، فلو كنت بدأت مشروعًا صغيرًا لأصبح الآن مكتبًا كبيرًا.

غرقت بانسيه بعيدًا عن ياسمين، صار صوتها يبعد ويبعد حتى لم تعد تسمعه، وبينما هي في تلك الغيبوبة التقت عيناها الخضراوان بشاب ممشوق القامة يلبس قميصا ذا ماركة مشهورة وجينز من اللون الكحلي الغامق دخل لتوه للكافيه، وتلفتت نحوه الأنظار والكل صار يسلّم عليه ويرحب به وهي

تراقب الحدث عن بعد، وتحاور نفسها هذا الشخص أنا أعرفه لكن أين تقابلنا لا أدري، قاطع هذا الغياب الذهني يا سمين صارخة:

- ما كنت أعلم أننا تواعدنا للقاء لأحادث نفسي، أين ذهبت بحق السماء ؟...ألووو بانسيه.

انتفضت بانسيه وكأنها عائدة من حلمٍ عميق:

- آسفة ياسمين ، ولكن انظري هل ترين هذا الشاب ؟
- أي شاب؟
- أعلم أنك لم تَرَيه لأنه آت من خلفك ولكن أريد أن نتبادل الأماكن وأصفه لك وتعالي نتذكر أين التقينا به من قبل.
- لالا بانسيه أنت على غير طبيعتك اليوم ما الذي يدور ؟ هل أعتبر هذا تهربا من حوارنا، أو أنك تودين الخلاص من ملامتي؟
- أبدًا صدقيني، لاعليك سأطلب الحساب ونمضي سويا.
- ولكن هذا مخالف لاتفاقنا فأنت بالكاد وصلتِ.

- لا يهم أريد أن استريح وجئت لمقابلتك كنوع من الالتزام فلا أستطيع التأخر عنك ياسمين.

همت بانسيه وياسمين بالخروج من الكافيه بعد دفع حساب مشروبات ياسمين ولكن سرعان ما وجدت من يناديها :

- بانسيه خير الله الشاهد

وفي استغراب تلفتت حولها لتجد الشاب الوسيم قفز من مكانه ليوقفها قبل المغادرة:

- نعم، من أنت؟
- لك كل الحق سيدتي فالأميرات أبدا لا يذكرن أمثالي.
- لم افهم!
- أنا وائل عطية دفعتك في الجامعة هل نسيتِني حقا؟
- وائل؟ غير معقول وماذا تفعل في القاهرة ألم نكن زملاء في الكويت؟
- غادرتها عائدًا إلى هنا منذ حرب الخليج، ولم أعمل بالهندسة ودخلت مجال التمثيل، ألا تشاهدين التلفزيون؟!

بانسيه صمتت ثم أجابت:

- مع الأسف لم أعد أشاهد التلفزيون.

كل هذا الحوار وقد امتعضت ياسمين وكأنها تشاهد مشهدًا من مسلسل من أيام الستينات:

- ألو نحن هنا، بانسيه هيا بنا.
- أعتذر منك وائل ولكننا بصدد الرحيل.
- سجلي رقم هاتفي ، أتمنى سماع صوتك.
- بالتأكيد

تبادلا أرقام الهواتف، وياسمين تشد ذراع بانسيه وكأنها مسحورة، أو كالتى لم تصدق أنه هو من أتى وراءها وأيضا تذكر اسمها الثلاثي، صحيح أن بانسيه هي أول دفعتها دومًا وبامتياز، لكن وائل كان لافتًا دوما لأصدقائه بأناقته وشخصيته المبهرة.

ركبت بانسيه سيارتها الفارهة وجوارها ياسمين، والصمت يعم الأجواء إلا من الموسيقى الهادئة التى أدارتها بمجرد الركوب، اخترقت السيارة شوارع القاهرة حتى أوصلت ياسمين إلى بيتها في حدائق القبة.

قاطع الصمت هذا الوصول فنطقت بانسيه أخيرًا:

- هذه الدنيا ضيقة رغم اتساعها ، هل رأيت وائل؟
- ماذا يدور في عقلك بانسيه؟ رأيتك شاردة منذ خرجنا حتى الوصول.
- أبدًا، وائل أحيا في مخيلتي أيامًا جميلة في الجامعة ، كانت دوما حوله كل بنات الجامعة إلا أنا، كنت أهتم دوما بدراستي، ولا يجذب اهتمامي وجود هذه الهالة من أصناف البنات من كليات شتى، ولكن الغريب أنه كان ينجح بتقديرات عالية، ولكنها بالتأكيد لم تكن مثلي، فأنا أول دفعتي، لكن كيف كان يجد الوقت لكل هذا ؟أ نت لم تعرفيه ياسمين، كان نجمًا وأراه الآن أكثر نجومية.
- ولكنه أتى إليك تحديدًا .
- لا أعرف ياسمين... ثمة شيء غريب، لماذا هذا الوقت تحديدا وأنا في قمة ضيقي من زوجي يلفت نظري دخول شخص ما أعرفه من أيام الجامعة؟
- لا أدري، ولكن المهم طمئنيني عليك حين تصلين المنزل.
- بالتأكيد عزيزتي .

- إلى لقاء.

نزلت ياسمين مشدوهة... كيف تحولت بانسيه بنفسيتها من الشكوى والصراع الممل إلى التوقف على بوابة الذكريات عند زميل الجامعة الذي وقع على المكان كوقع جهاز صدمة إفاقة القلب.

obeikan.com

الاختيار

ككل صباح سفر أحضر نبيل حقيبته ليجهز نفسه، وككل السفريات بدأ بإفاقة بانسيه لتجهز معه الحقيبة؛ لأنه دوما ما كان معجبًا بذوقها في الاختيار..التفت إليها:

- هيا عزيزتي حان موعد الانتقاء ماذا ترين مناسبا هذه المرة للسفر؟

في تلكؤ واضح بدأت بانسيه تعد حقيبة السفر، هذا القميص وهذه الكرافتة تتناسب مع هذه البدلة وهكذا حتى أتمت المهمة وهي تقول:

- صاحبتك السلامة يا نبيل.
- هل ترغبين بشيء من باريس؟
- لا كل شيء على ما يرام هنا ولا ينقصني شيء.
- إذن هاك قبلة السفر، لن أغيب هذه المرة
- تعود بالخير باذن الله.

قالت بانسيه عبارتها وهي لاتدري إن كانت تقصد ذلك أم لا، كل ما في الأمر أنها تستعجل إنهاء المشهد، وبخروج نبيل فتح أدهم باب السيارة ليستقلها وبسرعة البرق غابت السيارة عن المشهد.
كانت بانسيه تطل من شرفتها لتتأكد من ذهاب نبيل بعيدًا حيث سفرياته المتكررة، وعادت إلى سريرها لتحاول النوم مجددًا وهي تفكر مليًّا بما قاله الطبيب مؤخرًا، وقد رفضت في قرارة نفسها أن تصارح نبيل بما أخبرها به من خيبة جديدة فلا علاج ولا أمل، وما إن وضعت رأسها على وسادة خيبتها المعتادة حتى تفاجأت برنين الهاتف، لم تصدق نفسها متبرمة تقول:

- معقول يا نبيل أنت لم تصل المطار بعد!

نظرت إلى شاشة الهاتف لترى اسم وائل، أصابتها الدهشة فقد مر وقت طويل على أول لقاء بينهما ما الذي ذكره بها؟ ترددت في الرد ثم قررت غير ذلك:

- آلو.
- بانسيه كيف حالك أنا وائل أتذكرينني؟!

- بالطبع كيف حالك؟
- هل لي أن أدعوك إلى فنجان قهوة؟
- وما سر الدعوة؟
- أريد أن اتحدث معك لو أذنت لي.

صمتت للحظات وأردفت قائلة:

- لا مانع وائل وأين سنلتقي؟
- في المكان الذي رأيتك فيه أول مرة إن لم يكن لديك مانع.
- تمام.
- السادسة مساء هل يناسبك الموعد؟
- مناسب.
- إذن سأنتظرك.

تأنق وائل كعادته، ووضع عطره المميز، وانطلق حتى وصل الكافيه ، رحب به العاملون ترحيبًا كبيرًا فهو زبون دائم ومعروف بلا شك بحكم عمله بالتلفزيون ممثلا، وعلى غير عادته كان يجوب نفسه توتر مشحون يملأ جنباته وكأنه لم يقابل امرأة قط في حياته.

ينظر إلى ساعته كل دقيقة ليمضي الوقت شاحبا هزيلا لا يعرف كيف يمكن أن يسرع من دوران العقارب حتى يراها مرة أخرى.
جاءه الجرسون أكثر من مرة ليتلقى طلبه، ولكنه كان يؤجله دوما بحجة انتظاره لشخص ما، وعيناه على باب الكافيه مثبتة كجهاز مراقبة .
فات الوقت، مرت السادسة، السادسة والنصف، ولم تظهر بانسيه، هل يا ترى يتصل بها ليعرف سبب تأخيرها ؟ أم ليتأنى قليلا علها تحضر.
تململ وائل من طول الغياب ولا حتى الاعتذار وقام مسرعًا وفي غضب شديد، وبينما يفتح الباب بخطوة عنيفة وسريعة ارتطم بها..أجل بها:

- اعتذر سيدتي.

ومن فرط الغضب لم يدرك أنها بانسيه..لكنها بادرته قائلة:

- إلى أين يا وائل؟
- من؟
- ألم نحدد موعدا للقاء؟ ها قد جئت.

وقف وائل متحيرًا، من هي تلك الأنثى الصارخة الجمال، ماهذا الثوب الذي يكاد من فرط ألوانه الخلابة أن يجعَله يغيب عن الوعي.

- تفضلي.
- شكرًا لك وائل.

أسرع الجرسون في تحضير طاولة متميزة في ركن هاديء وبعيد عن الأنظار، نظر وائل تجاه بانسيه وكأنه يحصى حبات اللؤلؤ الأبيض في ثوبها الأحمر القاني، ثم ثبت نظره عند جيدها الذي لبست حوله صفين من اللؤلؤ الحقيقي وفي منتصفه قطعة ألماس يكاد بريقها يفقد الناظر إليه توازنه.

ابتسمت بانسيه تناديه:

- وائل..وائل...وائل.

انتفض معتدلا في جلسته:

- نورت بانسيه ما كل هذا الجمال ؟ لقد أدهشتني لم تكوني هكذا أيام الجامعة، كنت أتخيلك ...
- تتخيلني ماذا؟

- لا شيء، أقصد لم أكن أتخيل أنك طراز متفرد من النساء .
- وائل طلبتني لنشرب قهوة ، هل بالإمكان أن نشرب قهوة؟
- بالتأكيد، صاح على الجرسون ليأتيه بفنجانين من القهوة.

تبادل وائل وبانسيه أطراف الحديث، ومضت عقارب الساعة لا تعرف الفكاك من سرعة الدوران، وفناجين القهوة تحولت إلى مائدة عشاء، والحديث توقف عند رنين هاتف بانسيه ليحدث ومضة صمت ونظرت إليه قائلة:

- علي المغادرة فورا.
- ولكن بانسيه... مازلنا نتحدث.
- أعتذر ، لدي موعد مهم وزوجي على سفر وعلي القيام للحاق موعدي حالا.
- هل سنلتقي مجددا؟
- بإذن الله .

وعلى عجلة غادرت بانسيه الكافيه حتى توارت عن الأنظار وكأنها سندريلا التى يتوجب عليها الوجود قبل دقات الثانية عشرة كي لا تتحول.

عادت إلى المنزل والتوتر يأكل من جسدها، فهي لا تدري ما الذي جعلها تجلس كل هذه المدة مع وائل، وما الذي يريده منها، وما سر انجذابها له رغم أنه أيام الجامعة لم يكن ليلفت نظرها إلا بسبب أناقته الشديدة، تواردت على رأسها كل الخواطر، كل الأسباب والمبررات وسؤال يلح عليها هل بلقائها وائل قد خانت زوجها أم يحق لها أن تتداول مع البشر بتلقائية شديدة خاصة أن زوجها ليس مخلصًا أبدا، هو ذاك الشخص صاحب العلاقات اللانهائية والمعارف الذين قد تسمع عنهم وقد لا تسمع، فقد تعللت بالذهاب حين اتصلت ياسمين تسأل عن أحوالها وكأنها أفاقتها من حلمها الجميل لتعيش كابوسًا من الملامة لنفسها.

خلعت عنها ثوبها ولبست الوحدة التى تأكل جسدها باستمرار ، ها هي بلا زوج يحتضن حيرتها أو

يحوم حول أوجاعها، ولا أطفال لديها كبقية البشر يملؤون شقوق الروح التى أنهكها التفكير.

مر يومان دون اتصال من وائل، بدأ القلق يظهر على حياة بانسيه، لقد شغلها، نعم شغل تفكيرها بكلماته الرقيقة التى استرجعتها لتتأكد أنها ما زالت أنثى حية ، لأن نبيل تملكها بالزواج بعقدٍ غليظ فقد اعتبرها جزءًا من التحف الغالية التى اقتناها من هنا وهناك، وهي بالنسبة له مجرد واجهة اجتماعية رائعة يستند إليها إذا لزم الأمر، وفي دورة الشرود حول الذكريات وعلامات الاستفهام، رن الهاتف مرة أخرى صارخًا ، لكنه لم يكن سوى نبيل :

- سآتي في نهاية الأسبوع استعدي لاحتفال كبير نجهزه للضيوف، وكما تعودنا الضيوف كلهم مهمين.

ردّت وهي شاردة:

- أجل أفهم.

- اذن لن أوصيك، ستتشرفين على كل شيء، هل تريدين شيئا من باريس؟ مهمتي أوشكت على الانتهاء ولدي بعض الوقت للتسوق.
- لالا أريد شيئا عد لنا سالمًا.

أغلقت الهاتف وكل الشرود سيطر على عقلها وغمامات الوجع تُذكرها بأن عليها الإشراف مع سعيد على إعداد وليمة مع الطباخين لضيوف زوجها، ومشاهد مكررة تملها ولا تدري متى يأتي فصل الختام فيها.

رن الهاتف مجددا، نظرت إليه ببرود فتفاجأت بأن وائل المتصل، تناثرت السعادة على وجهها وأجابت بسرعة:

- وائل كيف حالك؟

أجابها وائل بصوت واهن ضعيف:

- أين أنت بانسيه؟ أنا بحاجة إليك؟.
- ما بك أخبرني؟
- أنا مريض جدًا هل ممكن أن تأتي إلى المنزل أرجوك أنا متعب.

- هل آتيك بطبيب؟
- لالا ..تعالي أنت أولا؟

ودون تفكير أو حتى فرصة للمراجعة أجابته:

- أعطني العنوان إذن.

دونت العنوان على عجل وأغلقت الخط، ثم انتفضت بسرعة وغيرت ملابسها وركبت سيارتها متجهة إليه، أجل إلى وائل، لحظة من الشلل الفكري التي جعلتها كالمسحورة تبحث عن بيته لتعرف ما حل به.

وصلت لعنوان شقته في شارع كبير بالقرب من ميدان الحرية في المعادي، العمارة محاطة بمزروعات كثيرة وضعت على درجات السلم بحثت عن البواب لتتأكد من الدور الذي يقطن فيه وائل فلم تجده، فطرقت على باب أول شقة قابلتها لتفتح لها شابة مراهقة فسألتها عن شقة وائل عطية وبامتعاضٍ شديد وبردٍ مقتضب أشارت لها أنه في الدور الثالث ثم أغلقت الباب.

تفهمت بانسيه أنه لا أحد يرحب بمفاجأة الأسئلة فعذرتها وصعدت درجات السلم وهي لا تسأل نفسها ولأول مرة ماذا تفعل هنا، فقط يجرها الفضول نحو المجهول.

قرعت جرس الباب ففتحه وائل وهو بكامل أناقته كالعادة قائلا:

- تفضلي بانسيه اشتقت لك كثيرا.
- أأنت بخير؟ قلقتني.

ضمها إلى صدره واستسلمت هي دون تردد ضمة لا يتقنها إلا من أجاد التمثيل، أو ربما كانت من القلب فعلا، وأدخلها إلى الشقة وأغلق الباب.

الحوار الذي لا ينتهي والامتداد غير المفهوم لتودد مبهم جعل بانسيه تسأل نفسها فجأة وكأنها الإفاقة، ما الذي تفعله ؟ ولم هي في شقة وائل؟ وكيف سينظر لها وائل الآن؟ الأسئلة التى مشطت بها المسافة بين لحظات التوهان ولحظة الافاقة جعلتها توجه سؤالها لوائل:

- أعتذر وائل، أنا ..أنا لا أدري ما أقوله ولكن حين ذكرت لي تعبك قررت أن آتي على الفور لأطمئن عليك، ولكنني أراك بخير والحمد لله ، صدقني لم يكن قصدي ما حدث فأنت تعرف أنني أختلف عن الآخريات عدا أنني متزوجة ولا يصح لي ما قمت به .
- لم تضخمين ما حدث، استسلمي لرغباتك بانسيه، من الطبيعي أن الانسان حين يلتقي من اشتاقه أن يضمه إلى صدره ليشعر بالدفء ويملأ روحه بنبضاتٍ ضاجة بالحياة.
- ولكنه لم يصح أن افعل ذلك، زوجي على سفر واحترام غيبته ضرورة.
- وما الذي حدث لكل ما تقولين؟ كل النساء تقول ما تقولين؟ كل امرأة ترى نفسها مختلفة ولا مثيل لها.

تركها متوجهًا للمطبخ ليعد فنجانين من القهوة ، وترك هاتفه على الطاولة المجاورة لبانسيه، في خلال خمس دقائق رسائل الهاتف جاءت منيرة شاشته، أثار ذلك فضول بانسيه فتلفتت حولها ثم

رفعت الهاتف لتقرأ الملاحظات المسجلة على الهاتف وفجأة وضعت يدها على فمها وكأنها تمنع صرخة كادت أن تفضح ردة فعلها.
اكتشفت أنها ليست الوحيدة التى حادثها بأنه مريض ومتعب، ورسائل للاطمئنان مطولة وكلهن من النساء، لابد وأنها الوحيدة الغبية التي سقطت في فخه حتى اللحظة لاستجابتها السريعة وقدومها بطواعية إليه كفريسة مقدمةٍ على طبقٍ من غباء.
عاد وائل بيده فنجانا القهوة اللذين أعدهما لكليهما، ووجد بانسيه سارحة في عالم آخر حتى تنبهت لوجوده فسارعت قائلة:

- لم ادعيت أنك مريض وائل؟ ماذا أعددت لي إذن اليوم؟ هل فنجان القهوة كفيل كي يمحو مرارة التصرف؟
- ماذا تقصدين؟
- سبق وقلت لك إنني مختلفة عن كل النساء ولا أفعل مايفعلن، وواضح أني واحدة من قائمة الرغبات لديك.

أخفى وائل توتره من بانسيه، ولم يكن يريد بداية أن يكاشفها بأي شيء، ولكنه يعلم ذكاءها المتقد فلم يتوان عن مواجهتها:

- اسمعي لم أكن أعلم أن جميعهن يتشابهن حتى جربت، كلهن يخبرنني أنهن مختلفات ورغم ذلك تصطدمين بكونهن نسخة طبق الأصل لا فرق بين هذه وتلك إلا الاسم وتفاصيل الجسد!

وقع كلام وائل كالصاعقة على بانسيه ، ففتحت فاهها مدهوشة، فلم يرحمها وائل للحظة بل على العكس أكمل بعد استرداده قليلا من ثباته قائلا:

- أنت تعشقين الإثبات، صح؟

بانسيه وفي حالة ذهول تام، أتم وائل حديثه:

- سيدتي اسمعي هذه المكالمة بالله عليك.

أسرع وائل بإحضار تلفونه الذي تركه على الطاولة وأداره وعلى الطرف الأخر إحدى صديقاته، ولا أحد يعلم أي رقم تمثله هذه الصديقة فهو يراهن على أنهن جميعا متشابهات، وفتح مكبر الصوت:

- فيكي.. كيف حالك سيدتي؟

- اشتقت لك وائل أين أنت وماذا تفعل؟ هل سنلتقي الليلة؟
- لم أسمع بعد ما أريد أن أسمعه لأخبرك بتحركاتي وتنقلاتي.
- وماذا تريد ان تسمع عزيزي؟ لا تريد أسئلة أليس كذلك؟
- نعم أريد كلماتك الناعمة ولكن ماذا سأفعل بأسئلتك التي دوما تمثل محاصرتي ؟ أشعر بالسجن وأنا معك ولا أعلم لم أهاتفك أصلا؟
- لا تقلق أعلم أنك لست بمريض ولكن حجتك هذه قديمة جدًا، هل معقول مازلت تمارس ألعابا أكل عليها الدهر وشرب؟ سألتقيك على العشاء في منزلك وحينها سيحلو لك سماع كل ما تتمناه وائل.
- سنتفق لاحقا سيدتي، وخفت صوت وائل متمتمًا بكلام لم يعد مفهوما بعدما أغلق مكبر الصوت أتبعته ضحكة كبيرة وأغلق الهاتف.

أعاد وائل الاتصال بواحدة تلو الأخرى وبانسيه تسمع بملء أذنيها، فمكبر الصوت صنع كل المحادثات في النور، نفس الأسئلة تقريبا ، نفس الجمل تقريبا، العشق والهيام بنفس الاشتياق وهو

يضيف إلى رصيد معرفتها إثباتا أن كلهن متشابهات وأخيرًا هي الوحيدة الساذجة الغافلة المنقادة بقوة العاطفة!!!

لملمت بانسيه متعلقاتها وغادرت في صمتٍ تام تملؤها الصدمة والدهشة وضحكات وائل قد ملأت المكان وأوجعت أذنيها.

سددت لنفسها الملامة قائلة:

- لا علاقة إذن بين رجل وامرأة إلا علاقة واحدة مهما بلغت درجة التقارب والتجاذب، هم ينظرون لنا على أننا قطعة جسدية واحدة ذات فكر واحد وطريقة تفكيرهم حيالنا لا تتغير، نفس الأسطوانة هي تقولها لهذا وهو يقولها لتلك..كل ما في الأمر هي تحين لحظة اصطياد الفريسة، ولم يعد الأمر فارقاً بين رجل أو امرأة، مرتبطة أم لا، متزوجة أو لا الكل يبحث عن الالتهام حتى الشبع دون عبء أو مسؤولية أو التزام.

وهل ما فعلته صداقة بريئة؟ خيانة؟ احتياج؟ أم ماذا؟؟ من الذي دفع بي إلى ذلك أهي الوحدة؟ خيانة زوجي المختبئة؟ الفراغ أم ماذا؟

طوال رحلة العودة إلى المنزل ودموعها لم تكف ولم تنقطع، كانت دومًا على يقين أنها لا تقابل الإساءة إلا بالإحسان أما أن تقابل الإساءة بالإساءة فهو غير مقبول ولا منطقي لما تربت عليه من خلق، مهما فعل نبيل فكيف تنحدر مثله، والأفكار تدور برأسها لتهوين الإحساس بالذنب، (إنه مجرد حضن) لا بل هو ذنب !

ولا تعلم هل شردت تصرفات نبيل الحمقاء تصرفاتها الرزينة؟ كيف تحاسبه وهي استسلمت لضعفها بمنتهى الهدوء والبساطة لحضن رجل غريب ؟ فقط لأنها سُحرت به زمنًا طويلا دون أن تدري.

وصلت المنزل وصعدت غرفتها على عجل، وفتحت درجًا صغيرًا لتخرج حبة المهديء التى وصفها الدكتور لها حين تشعر بالاختناق أو الضيق النفسي إذا لزم الأمر، نظرت للحبة نظرة شفاعة وكأنها ستعالج الوجع الذي حقنت به أخلاقياتها.

الذهول

وفي انتظارٍ حثيث لعودة نبيل من باريس، واستعدادًا للحفل الذي طلب منها الإشراف عليه، وفي سجل طواه الزمن أقنعت نفسها بأنه ما زال لديها فرصة في البدء من جديد مع نبيل مادام العمر امتد بها لحظة، وعليه فلتحاول اصلاح ما أفسده الدهر فلربما طريقتها هي التى عليها أن تتغير لتكفر عن خطيئة لم تكن تقصدها، ولكن هل الحياة تمنحها ماتشتهي إلا بما هو مرسوم على خطوط القدر؟

رن جرس الفيلا وهي في المطبخ تشرف على إعداد الطعام وترتيبات الحفل مع سعيد كبير الخدم وبقيتهم، أعطت تعليماتها بأنها من ستفتح الباب فخرجت لتستقبل نبيل ليس ككل مرة بل بنفسية جديدة وباشتياق عاقل ومن نوع مختلف.

فتحت الباب لتصطدم بوجود وجدي وعائشة على باب فيلتها بعد غياب أعوام طويلة انقطعت فيها أخبارهما وكأنهما نسيا ما قاما به سويا من جريمة التزوير والنكران لأمها، عائشة هاجرت إلى كندا تبحث عن مجدٍ زائف، ووجدي بسلبيته المعهودة

تشرنق على بيته وصار كمعظم البشر بلا هدف سوى أن يعول أسرته التى تمكنت منها زوجته نجاة لتحاصره بالأولاد، وتشكل ضغطًا غير مباشر لرعاية لقمة عيشه وبذا منعته عن أسرته دون تعب منها أواجتهاد، فيكفيه انحناء ظهره لمواصلة العيش ويكفيه هموم شتى مابين مصاريف المدارس، ومشاكل العمل ووو
استنفدت نجاة كل طاقة لوجدي ، يعيش بعائلته بعيدًا عن أي شيء، لا يفكر مطلقًا بالسياسة التى تحيطه ولا بالأحداث، فقط يجد لنفسه متنفسًا كلما خرج للمقهى المجاور ليتفرج على مبارايات الأهلي والزمالك، وكأنه ينفس عن جام غضب عيشه بالتشجيع فقط، لم يكن أبدا صاحب رأي مسموع، وتدليل أمه له كولدٍ وحيد جعله يعيش متقوقعا في حيائه لا يدري هل هو على صواب أم خطأ؟ المهم فقط أنه يستطيع جلب اللقمة للأفواه الفاغرة ليتجنب مشاكله مع نجاة .

حين رأتهما بانسيه راحت في حنق تصرخ بهما ، فكيف جرؤا على القدوم إليها وفي هذا التوقيت

تحديدًا؟ تعمدت أن تحاول غلق الباب فسارعت عائشة بالتصدي لتمنعها قائلة:

- بانسيه انتظري جئتك لأمر مهم، وتشجع وجدي ليدعم قولها:
- أرجوك لا تغلقي الباب اسمعينا أولا.

ولم يرق القلب ، لكن هاجسا بداخلها جعلها تتوقف عن إغلاق الباب في وجههما:

- نعم؟ ماذا تريدان؟

وجدي تصدر القول هذه المرة :

- جئنا نطمئن عليك ونخبرك...
- لا أريد اطمئنانا أو أخبارا..

قاطعتها عائشة:

- لن يكون هناك من يستطيع إخبارك بما في جعبتنا.
- هات ما عندك عائشة يا وجه الشؤم، أسرعي فزوجي على وشك الوصول ولست متفرغة الآن لأحاديثك الدميمة.
- زوجك نبيل؟

تردد وجدي في التداخل في الحوار ولكنه كان ملزما بما هو آت لقوله:

- ألم تسمعي الأخبار اليوم؟

عائشة قرعت طبول كلماتها لتوقعها على بانسيه جرعة اثر جرعة:

- لقد انفجرت الطائرة العائدة اليوم من باريس وسقطت في أعماق المتوسط في عملية إرهابية ..فجئنا نتأكد منك...
- ماذا تقولين؟ أنا لم أسمع الأخبار اليوم ولا أشاهد التلفزيون؟ لا.

عائشة بنبرة تصميم:

- لقد راجعنا من خلال معارف وجدي في وزارة الداخلية وتأكدنا.
- أنت كاذبة جئت تنتقمين، وكيف عرفت مكاني وسكني؟؟ وجدي ماذا تعني أختك بهذا الكلام؟

وجدي وقد أطرق رأسه للأرض وتعرق وجهه، حتى نهرته بانسيه بعنف ليكف عن السلبية ويجيبها:

- وجدي ماذا حدث؟ بماذا أتيتما بعد هذه الغيبة؟

هذه المرة تصدت عائشة للأزمة القادمة بصدارة الانتقام:

- هل من المعقول أنك في هذه الفيلا الجميلة لا تشاهدين التلفزيون، الخبر في كل مكان وعلى كل القنوات، وزوجك شخصية معروفة ومرموقة، وأنا

ووجدي جئنا نقف جوارك في محنتك، البقاء لله بانسيه.

لم تكن تعلم أن الغياب الذي اختاراه بإرادتهما كان فكرة الناجين من موت قلبها رغم التحرر من قيد القربى وصلة الأرحام، ولم تكن تعلم أيضا أن الحلم الذي تجدد بداخلها بإدراجه على قوائم الأمنيات بالتغيير قد تبدد وتلاشى بعدما انهالوا عليها بسياط عذابٍ لامفر منه، خبر الموت الذي أتيا به إليها لم يكن شتاء يعقبه الربيع بإزهار، ولم يكن حرارةٌ تتكهن مواعيد استقطاب البخار لتسقط بعدها الأمطار لتنتعش الأرض، ولم يكن خرافة أوراقٍ هزلت من طيات الذبول، ولم يكن ندى الروح على نوافذ الأمل، لقد أصابوا قلبها في مقتل.

الاعياء بعد موت نبيل

ماذا تفيد هذه اللحظة في تفنيد مالم تعمل على العيش فيه بتوقع لحظاته المريرة ؟ وكأن الأخبار التى توالت انهالت عليها بالتوتر والقلق والتعب لا تعلم مدى صحة ما تتناقله وكالة أنباء الموت من أخبار؟ هل حقا عقدت اتفاقًا رائعًا مع الحرية؟ هل الحرية الآن وبهذه الطريقة تشكل خلاصًا من زمرة خلاصاتٍ كثيرة ترغب في اتباعها؟ لشدّ ما أدهشها قدرة عقلها على تحمل هذه الضغوط وكأن وُسعَ نفسها لا تنتهي ولا تكف عن التمدد ، هل ماهي فيه مزعج للعامة ومريح لها فقط؟ هل لديها قدرة على أن تتحمل المزيد؟ كلما اعتقدت انتهاء الأزمات والقدرات الخارقة للبشر على الإيلام والوجع والتعذيب تجد مكانا آخر بأشخاصٍ آخرين و أحداث أخرى يحملون في ثناياهم ما يشتدُ بها لتصعد إلى درجة رفيعة لا قِبل لها بها فأين هي الآن من كم الطائرات التى لا تمل السقوط ولا يمل البحر أبدا ولا يكف عن الابتلاع أو تطلق آهة حزينة في جعبة عقلها لا يطّلع عليها أحد؟ أومن جبهة الخوف التى

تتوارى خلف قدراتها وطاقاتها تصبركي لا تستنزَف ولا تموت، هذا الموت الذي جاءها خلاصًا وعذابًا في ذات الوقت يربت على كتفها أن تلكم الحياة لك رسالة لم تكتمل.

الإعياء الذي أصابها برحيل نبيل جعلها طريحة الفراش تهلوس لنفسها:

- محزنٌ أن كان ينتقيهن بعناية شديدة جدًا وبظروف خاصة جدًا لم يكن ينصب شباكه حولهن أبدًا ، كن يأتين إليه سعيًا، كلما تذكرت ذلك لم أتمكن أن أدعو لك بالرحمة يا نبيل، تتساقط على رأسي الذكريات كسجيلٍ يحرق كل العمر الماضي، أود أن أموت قبلا لكن القدر أسقط على عمري عذابًا فوق العذاب، وكأن ما تحملته على مدى العشرة أعوام الماضية لم يكتفِ بها القدر بل مد العمر بي لأظل رهينة الأوجاع وحبيسة فكرٍ لن يهدأ.

تحاملت على نفسها وقامت لتفتح الشرفة تطالع الشفق الأحمر وكأنها تلبسته ، وجدت دماءها متفرقة بين الغيوم التى تصدرت مشهد الغياب هذه الليلة، غياب الشمس الذي تعشقه و الذي زاول مشهد الاختفاء كعادته ، فلا شيء يتغير ولا شيء يتجدد سوى أن قتل النهار أصبح هواية طقسٍ يومي

تتناوب على مشاهدته جموع البشرية الصامتة الضاجة بالهموم.
متى ستمنح نفسها قرارا قطعيا بالنسيان؟ متى ستصول وتجول في حلة جديدة من وحي الحب الحقيقي بلا خداع أو انتقام؟ متى يتفتق ذهن الشمس كي لا تقدم المبررات على طبقٍ من غروب؟ متى ستسير في اتجاهات تدرك بها معنى الحياة؟ حائرة هي تنازع نفسها بين الحقيقة وأشباه الخيال تزرع أسئلتها في أرض المتاهات تتخيل أن الحل القادم يكمن في تخليص الذات من عذاباتها بأن تموت.
صوت قميء تكرهه التفتُ لتجد كتلة من العذاب الآخر تتجه نحوها:
- مساء الخير بانسيه ..
- ماذا تريدين عائشة؟ هل انتهيت من فراغات روحك لتنتهكي جعبة عذاباتي أم لتضيفي عليها؟
- كنت أود يومًا أن أجد جسر فهمٍ أمده لك كي أفهم كيف أنت بتلك العقلية وهذه الروح وكل المتناقضات بلا حد، كيف نحن أخوات جئن من نفس الأرواح؟
- كان عليك أن توجهي السؤال لنفسك قبلا فأنت التى تحلم بما لن يرتضي القدر ويرضخ ليفعله لك ستظلين كتلة من الغباء المركب في ثوب إنسان،

مرحلة مظلمة تسكب الأوجاع وتوزعها بكل سلبية على المحيطين، إرث أبي الذي عذبني بك كما استكمل رحلة عذابي نبيل. يااااه لو كنت حرة ، لسافرتُ إلى كوكبٍ غير ذي زرع بشياطين بشرية لأعيش لحظة فرح لا يقتص منها الواقع ولا يمهل الحاقدين مثلك فرصة الإنابة.

obeikan.com

الدفنة

في مشهد الموت لم يكن هناك جثة نحملها للدفن، لكن كان لزاما أن تنصب العزاء لتتوافد الجموع من الرجال والنساء، من الكبار والدبلوماسيين ورجال الأعمال عدا زبائنه الذين توحّد جمعهم في تلك الليلة المقيتة.

صارت بانسيه في مواجهة قاسية مع الذكريات تنظر إلى محتويات مكتب نبيل المصنوع من الأرو بعد أن لبست ثياب الحداد استعدادا للعزاء لا تدري هل هو الحزن عليه أم على نفسها أم تقيد بالتقاليد :

- لم أكتشف بعد سر تعلقك بكل هؤلاء، فقط كل الدفاتر والأوراق هنا تشير إلى مجموع أوراق ٍ رسمية لا تنتهي إلى شيء، جوازات سفر، صور بطاقات، عقود غير موثقة، ماكل هذا يا نبيل؟ أعرف أنك لم تُحبني قط ولم أكن إلا تلك الزوجة التى تُكمل صورة فضائك الواسع لتخطو بي على فضائحك دون واقعة مشهودة واحدة.

كل ما في الأمر أنني غضضت البصر وتمعنت في إصراري على الموت في جوف الحياة ولم أتمكن. الدموع التى أذرفها الآن لا تكفيني لأغسل حوبتي وضياع عمري وسط وهمٍ غير قابل للإصلاح ، ماذا أُسمي نفسي زوجة صامتة ، أم صمت إنسان متوجع من فرط ما ضحى بكل ذرة إخلاص لقاء مَن لا يعرف أبدا معنى الإخلاص.

كم مرة حاولت قتلي بحجة أنني من أنتحر، علمتني صفقة الموت التى يُراهن عليها القدر كي لا تموت أبدًا، أوجعت صدري الذي يتنفس غدرك دون عداوة مسبقة فلربما اليوم أشهق بوجيعتي خوفًا ألا أزفر الراحة أبدًا، ولربما آلاف الأميال التى كنت تقطعها محلقًا حول حقوق الإنسان بالزيف لم تمنعها من أن تجعلك فتاتا تنهشه الأسماك عدلا من الله ومع ذلك فأنا حزينة لفراقك، كيف لي أن أعود وحيدة دون أحد؟ كيف لي أن أنخرط في خيمة التخلف مع عائشة مرة أخرى؟ كيف لي أن أستند على حائط الخوف لأن لي وجدي الذي تتمايل آراؤه بين كل الطرق؟ كيف لي أن أُعيد التفكير بأنني بلا أولاد

سوى هؤلاء المنبوذين في دور الأيتام؟ كيف تركتني يا نبيل بعد أن اعتدت حياة الشقاء.

هل أنا حرة منك الآن؟ أم متحررة من ذاتي المعذبة.

obeikan.com

العزاء

تنهدت بانسيه مناوشة روحها بالحوار:

- لم أعلم بعد من أنت حين تضورت الروح جوعا وهي تنتظر هطول أمطار الرأفة من قلب الاشتياق القاسي، ولم أعلم بعد من أنا حين سحقت أنت روحي ومددتها على رواق مفرداتك لتخطو بها خطوات المستحيل إليّ، ولم أعلم ماذا يدور في مدارات الكون حين أتَوسم فهمًا قد لا أفهمه.

هل رسالتي هذه ستقوم بحل معضلات حياتي؟؟ ليته يتخيل معي يوم كان يحتاجني فارتمي في حضن ذاته، وأنا التى اعتدت أن أرتمي في حضن أمان الله حين افتقدت الأمان معه، أن يبكي فيمسح دمعه بنفسه كما اعتدت أن أمسح دمعي وأكفكفه وحدي وأعده صبرًا جميلا، أن يتألم لأنني لست معه فأذكر كم هي المرات التى تألمت حين يأتي كل صباح دونه، أن يتنهد مختنقًا من وجعه فيتذكر كم مرة تمنيت زفر أوجاعي التى باتت على شفا الانهيار من ظلمة الاختناق، أن يغيب فيتذكر كم مرة غابت شمس روحي عن سماء بهجته، أن يخسر الأهل

والولد والقربى فيتذكر كم هم من نازعتهم رحمي وقلبي وقربتي من أجله ، أن ينساني فيتذكر كم مرة حاولت أن أنسى أفعاله لينسى الكون وجودي في مدار حب افترضه وما انتزعته نيران الحقد عنده حتى تلاشيت أنا في فضاء نسيانه، أن ينتهي من دنيا الباطل ويذهب إلى دنيا الحق فيتذكر أنني الحق الذي عاش زمنًا باطلا، أن يهجر الزيف مخدعه من وجه حقوقي فيتذكر أنه خدعني بلا وجه حق.

كان البحث عن الحب أشبه بالمستحيلات المتعارف عليها ، لم يكن خِلاً وفيا ولا عنقاء الأرض ، لا لربما لم تكن تبحث عن هذا النوع من الحب لكن نبيل هو من كان بصدد البحث عنها بحجته لاصطيادها فتقع فريسته لكن ليس كبقية الفرائس فهي فريسة دائمة وجميلة.

الحب الذي أوهمها به كان لا يمهلها فرصة النبض ليقفز على حياتها كمظلة أخطأ الهدف تقديرها لتتنحى بعيدا وتعيش مرارًا لا ينتهي.

التفتت بانسيه حولها في جولة بعينيها الخضراوين نحو الحاضرين للعزاء ولتتندر منهم:

- لم كل هذا التألق والشياكة أهم بصدد فرح أم هو عزاء زوجي المرحوم نبيل، ماالهدف من كل تلك الألماسات البارقة في أيديهن؟ وأنا ألماس دمعي يتساقط مع كل ذكرى سيئة عشتها دون أن أُدرك معنى الحياة.

ما كل هذا التناقض؟ فالجامع الذي في إحدى قاعاته العزاء لم يشهد خروج نعشك كبقية البشر، كان الحدث أشبه بطيرٍ ثقيل يقف على كتفي فالماء حمل فتاتك وأنا لم أحمل سوى لقب أرملة، وحولي المئات من سيداتٍ محا الزمن سحنة الأنوثة منهن يتسابقن إلى العزاء، العباءة السوداء يتلحف بها الكثيرات ممن ظهرن على سطح الحياة من أقاربك، وهم جزء من تلك الحياة البائسة التى يتخفون في دثارها واللباس الثري لغيرهن هو مظهر مشهود من مظاهر الحياة التعسة الرغدة للزبائن والمعارف وسيدات المجتمع، لا أستطيع أن ألتقط إلا مصمصة الشفاه على حسرتي أو لربما لم أكن أنا الطالع بعد من عمق إنسانيتي ياه..

شتان بين اللقطتين، وارتفع صوت المقريء:

بسْم الله الرحمن الرحيم.. (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).

obeikan.com

الانتحار

أفاقت بانسيه بعد عذابات طويلة مع النوم الذي لا يجيء، والأرق أصبح سامرها بعد غياب نبيل، فلم تكن تفهم سر تعلقها به رغم كل العذابات التى انتهت بها إلى وحدة مرة .

جالست نفسها في حساب كحساب الملكين وعادت تذكر نفسها:

- الآن لم يعد للحياة معنى بلا أبوين ولا رابطة دم حقيقية ولا حتى الأيتام الذين كنت أرعاهم، صارت كل الأشياء متساوية وحيدة كما جئت إلى الحياة بصراخ مكتوم أسأل نفسي ماذا عساي أن أفعل وهذه الضغوط من حولي ؟ لا ولد لي ولا سند، أشحذ الأفكار التفاؤلية فأجدها شحيحة في جعبتي، وتتمسح دمعاتي بخدٍ هرم من البكاء، وأنا ما زلت في أوائل الأربعينيات، لا كنت أمًّا لأحد ولاعملتُ بشهادتي التى تعبت من أجل الحصول عليها وتغربت غربة

سحقت بداخلي كل شيء إلا الحنين إلى أبي وأمي، ولا تمتعت بثروة زوجي التى يتصارع عليها الآن كل من حولي بعد غياب نبيل عن المشهد.

وبتثاقل شديد وضعت يدها بجوار"الكومودينو" بحثا عن المهدئات التى تراها نجدتها الوحيدة من تجمهر الأفكار على أرضية عقلها المتعب، فغالبًا بعد كل إيذاء جسدي لها من نبيل تغوص في بحر الانهيار العاصف في أعماقها لكن قرصًا واحدًا مما كتبه الطبيب لها عند اللزوم دومًا ما كان كفيلا بالاسترخاء المطلوب، حملت علبة المهدئات ونظرت بداخلها لم يكن هناك إلا قرص واحد، تأملته برهة وهي تفكر ثم أمسكت بالهاتف وطلبت الصيدلية ليحضر لها علبة أخرى.

كانت روشتة الطبيب شفيعًا لها في استجلاب علبة أخرى بسهولة، فتلك المهدئات لها محاذير وكثرة استخدامها لها أضرار عدة وهي لا تغفل عن ذلك أبدًا .

وحين أرسلت الصيدلية الدواء كانت عائشة في صالة الفيلا تشاهد التلفزيون الذي لم تفتحه بانسيه يومًا لمشاهدة أي برنامج، وما إن قرع الباب حتى تولى سعيد فتحه، ولكن لم يفت للحظة على عائشة أن تتلصص على الموضوع:

- من بالباب يا سعيد؟
- إنه دواء سيدتي بانسيه.
- أعطني إياه.

ناول سعيد علبة الدواء لعائشة وهو ينظر بتخوف شديد إليها ، تلك المقتحمة لهذه الحياة بكل فضول وشك، وغادر صامتًا إلى حيث يقوم بالترتيب والنظام وهو يتابع بعينيه صعودها إلى غرفة سيدته.

دخلت عائشة غرفة بانسيه لتتولى القيام بالاشراف عليها لتأخذ الدواء ولكن بانسيه بابتسامة رقيقة نظرت لها قائلة:

opeikar.com

- من فضلك عائشة اتركيه هنا نريد أن نفطر سويا ، ماذا أعدوا لنا هذا الصباح؟

- أراك في منتهى النشاط والروعة اليوم، لماذا إذن المهديء؟

ارتبكت في نفسها بانسيه فلم تتوقع هذا السؤال ولا هذا الاهتمام المتأخر من عائشة، ولكنها أجابت:

- مازلت بحاجة إلى راحة، سآخذ قرصا لحين إتمام إعداد الإفطار، ثم سأمتع ناظري بك وبالحياة التى تنتظرنا لنبدأ صفحة جديدة، ونحاول وضع جدولة للمشاكل الكثيرة التى نقف على أعتابها بعد موت نبيل وليكون ذهني صافيًا ثم إن الليل الطويل أرقني بالاستيقاظ والتفكير لا أكثر.

- إذن عوضا عن الإشراف على دوائك سأذهب للإشراف على الافطار، فلديك كل ما لذ وطاب هنا.

- اتفقنا.

انصرفت عائشة وتنهدت بانسيه ارتياحًا لأنها ستنشغل عنها، فتحت علبة الدواء تجرعت كل الحبوب التى بالعلبة ، وأسندت ظهرها على سريرها الذي كان شاهدًا على اغتصاب إرادتها كلما أراد نبيل أن يفرض سياج حصار لشكوكها حوله، أو كلما عادت من رحلة تعذيبه لها في المستشفى، لقد تحركت لديها غريزة الموت الرابضة فى أعماقها بعدما كان فعلا يُمارس عليها ليكون سلوكًا بإرادتها لاهتزاز ما بداخلها من ثوابت.

في دقائق غير محسوبة صارت تترنح بجسدها كالمخمورة ورعشة شديدة أصابتها، فحاولت أن تنزل من السرير لكنها لم تستطع، الخدر أصاب جسدها كله، صارت تنازع الوعي مع اللاوعي، تتساقط عليها الذكريات كِسفًا وتجيء صورة أبيها دكتور خير الله ووالدتها ابتهال وعائشة ووجدي ونبيل والخدم ومجمل الحياة التى انطوت في طياتها لتسقط غائبة عن الوعي على أرضية البؤس.

لم يمر كثير من الوقت حتى دخلت عائشة غرفة بانسيه لتخبرها بجاهزية المائدة ليفطروا سويا، ولكن صرخة قوية قطعت سكون الجدران، وانفجار عائشة ببكاء هستيري بعدما وجدت أختها مغشيًّا عليها لا ترد ولا تتحرك وجوارها علبة الدواء فارغة لتستنجد بسعيد وباقي الخدم كي يطلبوا الإسعاف.

وبعيدا غابت بانسيه وكأنها اقترضت أجنحة الملائكة لتطير في عالم آخر غير الحياة الدنيا.

علا صفير الاسعاف وعلت الحيرة والدهشة وجوه الجميع ماالذي حل بها ولماذا؟ لتنتقل إلى الانعاش.

obeikan.com

حياة جديدة وحالة عشق

انتظرَت بانسيه طويلا رنين الهاتف الذي انتهت مهلته من عمر يومٍ طويل، سألت نفسها هل ستكتفي بشواهد روحه المحلقة حولها أم هذا نتاج تلك المسكنات القوية التى أخذتها مؤخرًا في المشفى إثر سقوطها مغشيًّا عليها من الحب!!

عائشة تتابعها متسائلة:

- ما خطبك بانسيه الليلة ؟ صرتِ أكثر شرودًا من ذي قبل؟!

تبسمت ابتسامة رقيقة :

- لا تشغلي بالك يا أختي، فالشرود فكرة النازح من كوكبٍ مادي إلى كوكبٍ روحي لا ينال إلا من بعضنا، كالمس من الجنون أو لبس الجن للإنسان فلا حول له ولا قوة ، حينها لأنه لم يعد مسيطرا متحكما والإرادة الخارجية لطاقاتٍ حرة هي فقط التى تتحكم به، تلعثمت عائشة:

- أنا لم أفهم شيئا!

- يُخيل لي أنك بحاجة لنومٍ عميق لتفهمي فغدا لدي يوم طويل انتظرته لأقضيه مع سامي، ولإعادة برمجة

حياتي بعد انهياري لزمنٍ طويل أمام وسادتي التى كنت أدس فيها خيباتي وهمومي ودمعاتي اليومية.
عائشة مذهولة غير قادرة على فهم شيء:

- لم أفهم شيئا، ولكني سأنصرف للنوم تصبحين على خير.

بعد الإعياء الذي أصاب بانسيه بلقيا سامي وتلاحم الأرواح فيما بينهما لم ينقطع سامي عنها يومًا واحدًا أبدًا، بل على العكس ساعدها على استكمال رحلة العلاج والشفاء من خلال طبيبها ثائر عمار .

في لقائها الموعود كانت نظرات سامي لها دوما تذيبها عشقا وهياما به تسحرها، تأخذها من عالم الماضي البغيض إلى عالم المستقبل المليء بالتفاؤل، فلم يعد يتركها لحظة حتى صارت تتنفسه عشقا، كانت دومًا تشير إلى قلبه وهي تتقافز فرحا لتردد روحه على قلبها المتعطش للحب لا تفارقها تلك الدعابات الغريبة التى يصر أن يهمس لها بها لتبتسم، حتى نبضه صار متصلا بنبضها وأنفاسه المشحونة بأنفاسها كانت تعلم أن روحه قد سكنتها

حقا فهي مع كل مكان يتنزهون فيه تضحك كالاطفال، تجيء وتروح وتمشي عكس الاتجاه، تناور على نبرات صوته الآتية من بعيد وطيفه الذي التقطه واقعها لتختال به بين السماء والأرض.

سامي حولها يبتسم لما لها من طفولة بريئة ساحرة، رغم فارق العمر بينهما هي جاوزت الأربعين بسنتين وهو لم يتخطها بعد ، حنانه لم يكن كالذي عاشته يومًا مع أبيها لكنه حنانٌ ممزوجٌ بطاقة الحب ونبضاتٍ لا يُخشى عليها سوى أن يفرقها لحظات النوم الإجبارية في نهاية كل يوم..

ذات مساء وعلى صفحة النيل الهاديء والقمر الذي توسط السماء بدرًا منيرًا ونسائم الحب تحيط بهما نظر سامي لها قائلا :

- هيا احزمي حقائب الفرح لمغادرة هذا الكون الجاحد، نريد أرضا نفترش فيها الفرحة فتضج أركان القلوب باسمة .

نظرت بانسيه إليه متوجسة وكأن مفهوم الفرحة لا تفسير له في قاموسها إلا أن تعيشه كطفلة بين يديه...وقالت:

- لا حقيبة لديّ، إن كان لديك واحدة فامنحني إياها لأستطيع أن أفهم أسطورة الفرح المبهمة الأوجه.

شاكسها وقال:

- تعالي إلي ، هيا ضميني، بماذا تشعرين الآن؟

خفق قلب بانسيه بشدة، تعالى نبضها ، توترت ثم ابتسمت ابتسامةً طويلة المدى:

- الآن فهمت، فبك وحدك أستطيع تعبئة كل حقائب الفرح فهلاّ ضممتني للأبد!

عانقته طويلا بكل الحب ونظراته الحانية تغدق على قلبها الكثير، لم تكن تدري أنها بكل هذا الاحتياج لكل الحب تشتاقه رغم أنه بين يديها واقعًا حقيقيًّا لا يغيب، فتلك لحظة فاصلة في حياتها حين أعلن بحبه الإشراق على حياتها، بعد كل ما واجهته من ظلام.

نظرت في عينيه وقالت بكل ثقة:

- كلما توضأت روحي بقطرات هواك تيممت أنت الفرح، سامي أنت روحٌ تلبستني وخلود نبضة نبهتني أنني أعشق التراب الذي تخطو قدماكِ عليه، ففي كل خطوةٍ آهة عِشقٍ أبدية، لذا سأظل محدقة بك أرسم معك وبك التوقيت القلبي لفصولك الأربعة.

obeikan.com

بارقة الأمل

حين تزوجت بانسيه من نبيل وحملت بعد وفاة والدتها بشهرين، كان هذا الحمل لنبيل اللبنة التى سيعلق أحلامه عليها، فلا يوجد مخلوق إنساني لا يود أن يكون له نسل يمتد باسمه، وقد اعتبر مرور شهرين الوقت الكثير، ولكن شاءت الأقدار أن تتعب بانسيه وجسدها لم يحتمل فخضعت لعملية قيصيرية، أعقبتها مضاعفات تسببت في التصاقات داخل تجويف الرحم، دمرت بطانته ودمرت جوارها إحساس نبيل نحوها وحرمت بانسيه من الأمل في الحمل مجددًا، وعبثا كانت كل المحاولات التى قاما بها سويًّا للعلاج أو حتى قامت هي وحدها كلما علمت بوجود بارقة أمل أو طبيب متميز أو ذائع الصيت، وكانت تتحجج دوما بأنها ترافق ياسمين، بينما تذهب وحدها تتلمس النور الذي قد يأتي لكنه لم يأت أبدا.

في يوم من الأيام تناهى إلى مسامعها أن جراحاً مصرياً عالميا يجري العديد من الجراحات

متخصصا في مناظير الرحم اسمه دكتور أسامة شوقي، واتصلت على فورها بياسمين :

- ياسمين هل تعتقدين لو ذهبت بعد كل سنين العناء التى مرت سيكون لي نصيب من ولد؟
- ولم لا ؟ لاشيء بعيد عن رب العالمين؟
- وهل أذهب وحدي كما كنت أفعل مع نبيل أم علي اخبار سامي؟
- وهل هذا سؤال؟ أليس لحياتك فارق عزيزتي؟ لو كان سامي يحبك بالفعل لن يترك أملا تبحثان وراءه؟
- ياسمين قد جاوزت الأربعين؟
- اسمعي بانسيه، أنا لاأحب التردد، أخبري سامي بمخاوفك كلها فهو صدرك الحنون وهو زوجك الذي يعلم قصة حياتك بأكملها ، اخطوا معا هذه الخطوة ولا تترددي، صدقيني لا يأس مادام هناك حياة؟

obeikan.com

- سمعت عن الدكتور أسامة شوقي جراح متخصص في مثل تلك الحالات وله سحر يتحول بين يديه إلى واقع .

- إذن لا تنتظري شيئا.

عاد سامي من عمله المرهق متأخرًا والتعب يتسرب إلى جسده، ووجد بانسيه سارحة في ملكوتها، ففاجأها باحتضانه وقبلة تشرق ما في نفسها من حب فابتسمت:

- حبيبي حمدا لله على السلامة.

- بماذا تفكر حبيبتي هذه الليلة؟

- لا شيء.

- بانسيه ، تعاهدنا على الصدق والصراحة وأنا حضن قلبي بين يديك ولا أحب أن أرى وجهك يموج في ألم بعدما من الله علينا بالزواج، هيا حبيبتي أخبريني ماذا يشغل تفكيرك؟

- سأقوم بتحضير الطعام لك فأنت بعد كل الساعات الطويلة من الإرهاق في العمل لابد أن تجد الراحة

هنا معي وفي قلبي، لم أكن إلا على انتظار لمقدمك، أنت الحياة كلها والنعيم الذي مّن الله به علي من بعد كل مفاجعي.

- حسنا ..لنأكل ثم نتحدث.

أعدّت بانسيه العشاء لزوجها المتعب وهي لا تزال غارقة في الفكرة، هل ستخبره أم لا؟ وسامي لم يفكر مطلقًا في تحويل دفة الكلام نحوها مجددًا على أمل أن تبوح بما في صدرها.

نادته بصوت رقيق:

- سامي؟
- ماذا حبيبتي؟
- أنت تعلم جيدا أنني لا أنجب الأولاد؟
- ألم أخبرك سابقا أنك جنتي ، أمي وأبي، زوجتي وحبيبتي وكل أولادي، لماذا هذا السؤال الآن؟
- أخبرتني زميلتي في العمل عن طبيب مصري، تخيل مصري لكنه عالمي في جراحة المناظير في يده شفاء كالسحر وأنا..أنا....

obeikan.com

- ترغبين بتجديد المحاولة؟

- نعم أرجوك فقط هذه المرة؟

- حبيبتي هوني عليك ولماذا ترجونني بالطبع لا أمانع، وأنا خُلقت لأحول كل أحزانك أفراحًا، أريدك دوما كزهرة البانسيه مشرقة الألوان مبتهجة النفس مسرورة بكل طاقات الحب التى بداخلك.

- إذن دعني أذهب له وحدي ممكن؟ لا أريد إلا الذهاب وحدي.

- اتفقنا لك ما تشاءين.

قامت بانسيه من مكانها تتقافز فرحا وكأنه حقق لها المستحيل، قبلته وحضنته حضا طويلا وهو يبتسم معها كما الطفلة التى حصلت على قطعة من حلوى.

- كم أنت جميلة يا طفلتي، هيا لننام فأنا متعب جدًا وأنت وراءك زيارة للطبيب؟ بالتأكيد ستأخذين إذنًا من العمل وماذا كان اسمه؟

- الدكتور أسامة شوقي.

- وأين ستذهبين له؟

- عيادته في المستشفى في أرض الجولف.

- هيا إذن احملي الأمل في جعبتك وتوسديه وادعي الله أن يحقق لك الحلم.

- حبيبي سامي لعل الله يجيب الدعوة ويصلح الأحوال.

حملها معانقًا إلى غرفة نومهما والآمال تتلاعب في عقل بانسيه لحياة مختلفة، أما سامي فقبل وجنتيها ووضعها في السريرواحتضن روحها ولاعب خصلات شعرها الذهبي، تناول جسدها بكل رقة وحنان امتلك نشوة منها وامتلأت هي نشوة منه واحتضنها بقوة ليغمض عينيه اطمئنانا وراح في نوم عميق.

أما بانسيه فلم يغفل لها جفن من فرط الحب الذي تذوقت عسله معه وفرط سعادة الأمل بداخلها، كانت التساؤلات في جنباتها لا تكف ولا تنتهي وكأنها موعودة بها لكنها استسلمت أخيرًا وسمحت لعينيها بالنوم.

في عيادة الدكتور أسامة شوقي أو كما سمعت أنه ملقب بالساحر جلست أمامه في صمت رهيب وكأن لسانها قد عجز، وببراءتها المعهودة وصوتها الهادىء حاولت أن تشرح للدكتور قصتها لكنها تلعثمت وفجأة غرقت في دموعها :

- هل لظلام ليلي أن ينتهي على يديك؟ هل لطيور الفرح التي هاجرت قلبي أن تعود؟

شرحت حالتها للطبيب ثم وجدت على وجهه علامات الإنصات ورغبته في التحدي فوعدها أن يحيل كابوس الحياة إلى أمل جديد، فانهالت بكلماتها المرتجفة خوفًا وأملا تدعو له أن يجعل الله الشفاء على يديه.

عادت لسامي ببشرى الأمل وتعانقا عناق فرح من نوع جديد، وأخبرته أن الطبيب حدد موعدًا للجراحة وأنه لابد أن يكون معها هذه المرة فقال:

- معا حبيبتي سنتخطى كل الصعاب فلا تقلقي.

- احتضنِّي أنا خائفة.

فتح ذراعيه واحتضن الخوف الذي تناوب عليها وأسكنها صدره يقبلها في كل مكان ويربت عليها قائلا:

- كل شيءٍ بقدر، توكلنا على الله.

في يوم الجراحة و على طاولة العمليات بكت طويلا بكاءً غير اعتيادي، كانت ترجو أن يجعل الله من سحر علم الدكتور أسامة شفاء، فإنها كلما نظرت له تأكدت من ذكائه المتقد ووجهه الذي لا يفارقه الابتسام مطلقًا ليشعل في نفسها الأمل بلا حدود ، تعلقت بيده بينما تأثير المخدر يسري ببطء في جسدها ، كانت تضغط على يده كي تذكره أنها الغريق الذي تعلق بأمل القدر، وهو يربت على جبهتها بحنان وروحها تتناثر منها فقاعات القلق لتغرق الهواء المحيط بالغرفة، وزفراتها تحمل معها إلى السماء دعواتها المتأملة بأن تغرق في ملكوت الإجابة، حاولت أن تجذب يده مرة أخرى ولكنها راحت في سبات عميق .

سدد الدكتور أسامة توجيهاته إلى فريق الجراحة من أطباء مساعدين وممرضات:

- حان وقت العمل .

وما إن عرف المنظار طريقه في عنق الرحم حتى استبدَّت بالدكتور أسامة الحيرة فهو ليس أمام مفترق طرق، و إنما ضاعت أمامه و غابت العلامات و تاهت الإشارات لكنه بحاسته السادسة وليدة الخبرة بعد سنوات من السفر عبر عنق الرحم غدواً و رواحاً ، أطلق العنان للمقص يختبر الطريق ، وبدأ ينحتُ في طريق أصم محت الالتصاقات دروبه و زواياه.

لم يكن أمامه وهو يقوم بكل ذلك ولا في مخيلته إلا دموع بانسيه وآمالها العِراض لذا استمر النحت حتى ظهرت له بوادر أمل خلف بعض الزوايا فتسلل عبرها تسبقه قوة الماء الدافق تحاول إصلاح ما أفسدته القيصرية و عواقبها .

تابع القص ليهدم الجدار بعد الجدار حتى تسرب الماء في جوف صغير ورديّ كان حبيس الالتصاقات سنينَ ظالمةً .

و نظر حينها الدكتور أسامة لفريقه ليتأكد من خلال ابتساماتهم من علامات الانتصار القادمة والأكف تلتقي في صفقات الفرح.

أجل لقد لاحت بوارق الأمل و بدأ يتلمس طريقه الجراحي والعلاجي بين التصاقات أماتت حياة الرحم ليشبعها قصاً ليمحو الأذى و يروي بذور الأمل حتى عاد إلى سابق عهده حراً يجد له موطئ قدم بين صُنّاع الحياة ، واستحال لون التليف الأبيض القاحل إلى لون زهري جميل يعكس الرجاء في بوادر الشفاء بعد جهد و مشقه تفوق المستحيلات.

بعد الإفاقة جاء الدكتور أسامة يزور بانسيه في غرفتها، حيث يتناثر شعرها الذهبي كشعاع الشمس على الوسادة ووجهها يشع ضياء باهرا وتأثير المخدر مازال بسيطًا يجعل حركاتها بطيئة متثاقلة.

فتحت عينيها الخضراوين، ووجدته يحدق بهما بكل رقة وبدون أي كلمة، كانت عيناها تملؤهما التساؤلات والخوف والوجل، تترصد شفتيه خشيه ان يقول لها ما قد يزيد من آلامها و يأسها فامسكت يديه بكلتا يديها و نظرات التوسل و الرجاء تذوب

من عينيها، بانسيه وهي تنبض نبضًا عاليًا يكاد يرج أرجاء الغرفة من شدة القلق والخوف، وصوت واهن يشق جوف السكون ويركّع اللحظات كي تمضي:

- ما الأخبار دكتور ؟

رد بصوت حنون و كلمات هادئة:

- الحمد لله أصبح لديك رحم متدفق بالحياة الآن.

انهارت باكية لا تصدق مسامعها وتداخلت الحروف واختلط البكاء بالكلمات المنفرطة من الفرح:

- - استحلفك بالله يا دكتور أسامة هل ما تقول صحيح أم مجرد اطمئنان يتوجب عليك قوله لي.

- - تأكدي أنه حقيقي وسترين النور الذي كنت تبحثين عنه سنين طويلة يتحقق في أقرب فرصة.

خرجت بانسيه من المشفى مع لائحة طويلة من التوصيات و جرعات من التفاؤل بمستقبل يحمل الخير في جنباته، وسامي يجاورها في لحظاتها يشعر كأن الحياة ابتدأت من جديد وبصورة أكثر إشراقا لم يتوقعه أبدا .

الشهور مرت متثاقلة وبطيئة تحمل في جنباتها الأمل، واتصالات بانسيه بالدكتور أسامة لا تنتهي ، كل الأسئلة متمحورة حول متى ولماذا؟ حتى فجأته يومًا باتصالها والإحباط لايجد مفرا من كلماتها المرعوبة تشكو فيها هذه المرة انقطاع الدورة من جديد، و تندب حظها خوفا أن تكون الالتصاقات قد عادت لسابق عهدها ، فعالج مخاوفها بقوله:

- بانسيه اهدئي أرجوك وتحلي بقليل من الصبر، فبالامكان أن نقوم بإجراء جراحة أخرى لنرى ماهية المعالجة...فقاطعته:

- لا لن أقوم بعملية جراحية مرة ثانية ، لقد كان الوهم الذي تصبرت بأذياله حتى ظننته حلمًا يتحقق ، شكرا لك دكتور على مساعدتي، لكني لا أعتقد بأن هناك أملا مرة أخرى، سأرضى بنصيبي، صدقني لن أنسى ما قمت به حيالي على الأقل كنت داعمًا قويًّا في استعادة رحمي الميت منذ سنين طويلة ، وادعو لي ، فقط ادعو لي كي أتمكن من التكيف مع هذا الحزن من جديد.

وبعجزٍ شديد تفتق ذهن الدكتور أسامة عن سؤال مهم :

- هل قمت بعمل تحليل حمل أو أشعة للرحم؟
- لا.
- إذن حالا توجهي للمستشفى لعمل تصوير للرحم وأرجوك لا تترددي واتيني بالنتيجة .
- وبم سيفرق؟
- الآن ارجوك.
- سأفعل دكتور.

أغلقت الهاتف وهاجس بداخلها ينازعها نحو الأمل من جديد، هاتفت سامي لتخبره بطلب الدكتور أسامة فشجعها قائلا:

- إذن سآتي بسرعة لنذهب سويا.

توجها للمشفى وقامت بتصوير الرحم وذهبت لعيادة لدكتور أسامة تجر الرجاء وراءها جرًّا، وسامي يتمسك برجائها هذا ويسندها بكلماته الرقيقة:

obeikan.com

- هيا حبيبتي سنعرف الآن ماذا يحدث ولن ننقطع عن أي طريقة للعلاج، لا أريد لليأس أن يملأ قلبك عليك الثقة بالله القدير.

نظرت له نظرة إشفاق فهي أدرى بمكنونات قلبه، لم يكن رجاءها وحدها فهو بالتأكيد حلم يكبته في صدره لكن الأحلام عنده لا تستغيث، فقط يود أن يغمرها بالحب والحنان كي يسعدها بكل ما أوتي من طاقة.

استأذنا بالدخول سويا فما إن سمع الدكتور أسامة اسمها بالباب حتى سارع باستقبالها هي وسامي، كان أشد تلهفا لمعرفة ماذا يدور، ولم عاد الرحم إلى صحرائه بعد كل هذا الجهد والتعب في غرفة العمليات.

جلست بانسيه أمامه وهي تمسك بيد زوجها، وناولت الدكتور أسامة الأشعة والتحاليل، بسرعة وضعها الدكتور على جهاز الكشف وطالع تقرير الخاص بالتحاليل ثم رمقها بنظرة لم تفهمها وابتسم قائلا:

- ماهذا؟؟ بانسيه لم يعد الرحم متليفا، الرحم ينبض بالحياة!!وبنظرة مرتعدة وجهتها نحو سامي ثم نحوه:
- ماذا تعني دكتور؟
- أنت حامل بالشهر الثالث.....مبروك

obeikan.com

النهاية

في غرفة الولادة تنظر بانسيه بعينيها نحو هذا الكون، وأخيرًا سيكون لها طفلة جميلة بعد صبر طويل، فقدت فيه الأمل في أن تكون أمًّا ولكن القدر سمح لها بتلك الفرحة المتأخرة لها والمحسوبة قدرا في موعدها.

دخل عليها سامي وأمسك يدها:

- بانسيه لا تقلقي كلها دقائق والأمور كلها ستكون بخير.
- الحمد لله أنني عشت اللحظة التى كنت أنتظرها من زمن بعيد ولكنني متألمة، أشعر أحيانا بأن كل هذا الفرح الذي أتى بك وأتى بحملي سيكون خلاصا لي.
- حبيبتي أنا لم أعش لحظات سعادة إلا بين يديك...وقريبا ستكتمل سعادتنا؟
- حبيبي فإن لم يكتب لي الحياة .....

obeikan.com

- لا تتشاءمي عزيزتي...كل آلام المخاض هكذا يعقبها راحة فلتهدئي وتستكيني أيتها الحنون.
- سامي، لقد عشقت فيك رجولتك الحانية، عشقت فيك الدنيا التى لم أفهمها بعد، كنت السند الذي طالما حلمت به بعد فقد أبي، كنت حلمًا جميلا أبعد من واقع يعبر بذاكرتي حتى نبض القلب بك .
- حبيبتي وأنا أراك فوق العالمين ، امرأة لا مثيل لها ، روح شفافة حساسة جدًا كالفراشة حين تحلقين فوق بستان الزهور، وردة نبتت في أرضٍ جرداء فتحولت برحيقها وعطرها إلى جنة من جنان الله فليكمل الله سعادتي وراحتي بولادة يسيرة لك باذن الله.

حضر الدكتور أسامة ليخرج الجميع من الغرفة وقد أحس اضطرابا مفاجئًا في نبضات بانسيه وتغير لون وجهها، فأعطى تعليماته لإدخالها غرفة العمليات فقد حان الموعد.

طال انتظار سامي، وبانسيه في غرفة العمليات، والأفكار تسبح به بعيدًا حول سلامة بانسيه، فهي ليست بالشابة الصغيرة لتتحمل، ويكفي ماجاء به الحمل من ضغط وسكر جعلها تتألم أكثر مما تألمت طيلة حياتها.

وجه وجهه نحو السماء والدعاء لم يتوقف آملا أن تتم كل الأمور على خير.

خرج الدكتور أسامة من غرفة العمليات قائلا بصوت يقترب من الخفوت، وقد فارق ثغره الابتسامة المعتادة:

- مبروك طفلتكم الجميلة..ماذا ستسميها؟

بقلق ظاهر وواضح على وجه سامي:

- ماذا عن بانسيه؟
- للزهور فصل إشراق يملأ الدنيا بالعطور والمحبة، فما إن يكتفِ الكون بهذا الاشراق وتلك العطور حتى.....

راح سامي يصرخ غاضبًا:

- ماذا تقصد؟

- أقصد، حين تُرغمك الحياة على البقاء وأنت تنشد الاستغناء فإنها لن تمنحك فرصة، ولكن حين يشتهيك الموت، فأنت مسيرٌ إليه دون إرادة مهما تُقت الى الحياة.

obeikan.com

نبذة عن المؤلف:

- **الاسم: عبير محمد شريف العطار، مصرية، سورية.**
- **كاتبة وشاعرة وقاصة وروائية.**
- **الإصدارات:**

١- لحظات فارقة - مطابع الأهرام التجارية ٢٠١٣ - مصر

٢- الحب إنسان - مطابع الأهرام التجارية ٢٠١٤- مصر

٣- رهان مرآتي - مطابع الأهرام التجارية ٢٠١٥- مصر

٤- تجاعيد زمن - قصص قصيرة جدا –مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية ٢٠١٦- مصر

٥- سِلفي مع الروح – نصوص نثرية - مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية ٢٠١٧- مصر

٦- القصص العربية القصيرة جدا في مختبر السرديات (عمل جماعي) الصادرة من المجموعة الالكترونية القصص العربية القصيرة جدا في مختبر السرديات- صدر عن دار رهف ٢٠١٣ القاهرة

obeikandi.com

- **تحت الطبع :**

ـ وحدك في الصورة تكفي - ومضات

- **العناوين:**

- **Facebook**
- **www.facebook.com/byrAltar**
- **berry_attar@hotmail.com(E mail)**

- من مواليد دولة الكويت.
- حاصلة على بكالوريوس العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٧
- حاصلة على دراسات عليا في تجويد القرآن من معهد الدراسات الإسلامية بالكويت ١٩٩٥.
- حاصلة على دبلوم ديكور داخلي من الولايات المتحدة الأميركية بالمراسلة ١٩٩٩.
- عضو في اتحاد الكتاب المصري.

obeikan.com

- عضو مجلس أمناء مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية والمستشار الإداري لرئيس مجلس أمناء مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية المشهرة برقم ١٦٤ لعام ٢٠١٦.
- عضو في أكاديمية الفينيق للأدب العربي

http://www.fonxe.net/vb/showthread.php?t=٢٥٩٧٢

- عضو في ملتقى الأدباء والمبدعين العرب

http://almolltaqa.com/vb/index.php-

- الصفحة الأدبية الخاصة

www.facebook.com/byrAltar

- شاركت في ملتقى المبدعين الخامس للفن التشكيلي في فقرة كلمة ولحن على ساقية الصاوي ٢٠١٦
- أقامت أمسية على مسرح الطفل للحضارة والإبداع في مصر الجديدة ٢٣- أكتوبر ٢٠١٦

obeikan.com

- أقامت أمسية شعرية في ساقية الصاوي ٢٤ أكتوبر ٢٠١٦
- قامت بالمشاركة في يوم الشهيد على مسرح مكتبة مصر الجديدة برعاية مؤسسة الكرمة للتنمية الثقافية والاجتماعية يناير ٢٠١٧.
- المؤتمرات المشاركة بها:

١- مشاركة في مؤتمر القصة القصيرة جدا في مكتبة الإسكندرية ٢٠١٣ ديسمبر.

٢- مشاركة في مؤتمر القصة القصيرة جدا في المختبر في الإسكندرية ٢٠١٥ أكتوبر.

٣- مشاركة في مؤتمر جمعية التضامن والعمل الاجتماعي بالتعاون مع اتحاد المغاربة المبدعين - أسفي المملكة المغربية٢٠١٦مايو.

Opelkan.com

التناصف الإنسانى عند الروائية عبير العطار

بقلم الناقدة البرغماتيكية عبير خالد يحيى

البناء الفلسفي:

تعد هذه الرواية نموذجاً لأدب المرأة، هذا الأدب الذي كثرت النقود والكتابات فيه، منهم من عد الأنثى مخلوقاً خاصاً في العواطف والأحاسيس، ومنهم من ساواها مع الرجل، ومنهم من فوّقها عن الرجل بالأمومة والأنوثة وصفات أخرى تتفوق فيها عليه بجدارة، و حين قرأت تلك الرواية بعمق، وهي المحاولة الأولى للروائية عبير العطار، تغيّرت لدي كلّ المفاهيم التي قرأتها في الأدب الأنثوي، ووقفت عند خط رسمته تلك الروائية بعبقرية وحرفنة، فهي روائية متفوقة وضعت خطاً واضحاً بين الأنوثة والرجولة، ولم تقر التناصف الأنثوي بعدالة القول، بل بسلوك الممارسة، والتناصف الفكري بشكل فلسفي، وجدلية تستحق الوقوف والتأمل، كأنها تقول: لا بدّ للمرأة من رجل، فهو قوة في كيانها رغم

تجاوزه معها الخطوط الحمراء، ذلك أمر طبيعي تبلغه المرأة، دليل إثباته فشل الأنثى في تحقيق ذلك يجعلها بؤرة للأمراض النفسية والإحساس بالنقص.... وعادت من جهة أخرى، لتقرّ هذا التناصف المفروض بقوانين الطبيعة، لكن تلك المرة بين المرأة والأنثى، وبشكل فلسفي، فاعتبرت المرأة رمزاً ومركزاً للأنوثة، وقد تكون مرتكزاً لها في احترامها الذاتي لتلك البيئة الأنثوية بالسلوك والوعي، وفي ذلك تتفوق المرأة بالأنوثة على كل مخلوقات الله في ممالكه الأخرى، وفي المملكة البشرية تتفوق على المرأة وعلى الرجل، وتمسح التناصف الطبيعي المقرور بينهما، وأعطت الروائية عبير العطار دليلاً في ذلك، الوعي وثقافة البطلة (بانسيه) كان نموذجاً أنثويّاً لهذا التفوق، سحق السلوك السلبي للمرأة والرجل في ديمومة التخلف، وتمثل ذلك بشخصيتين أقرّتا الصراع الدرامي المتمكن فلسفياً على طول خط الصراع الدرامي في تلك الرواية، وبشكل مزدوج مرة بين الخير والشر،

وأخرى بين الشر والشر، بشكل لم أره من قبل!!! فشخصية (عائشة) وهي أخت البطلة (بانسيه)، هي رمز إنساني سلبي، يقرّ التنصّل عن العلاقات الإنسانية ببديل المصلحة، حين ينتزع الوعي والثقافة، ويلبس جلباب التخلف والأنانية، فينتج عن هذا الصراع، أن تُودِع أمّها بيت المسنين، وهذا الصراع قوامه الخير المتمثل بالبطلة (بانسيه) والشر المتمثل ب (عائشة)، وقد حرّكت خيوطه الدرامية والفلسفية حتى موت نبيل.... أمّا اللمحة الفلسفية الأخرى، فهي صراع ثلاثي بين الشر والشر والخير، وقد تمثّل ذلك بصراع أدارت دفّته الكاتبة الروائية عبير العطار بحرفنة متناهية، ومثّل ذلك برسم أبعاد شخصياتها بخطوط فلسفية، بقلم المصير فوق مسرح الديمومة، أبطال هذا الصراع هم (نبيل) زوج (بانسيه) خان زوجته مراراً، وهي تعلم ذلك، لكن (بانسيه) حتى وإن استغرقتها موجات الأنوثة بمقابلة شخص آخر في شقته وسمحت له بالمعانقة اعتبرت ذلك محاولة للخيانة، ندمت عليها جدّاً،

وعادلت كفتها بالحنين والتّوق إلى حضن زوجها ومسامحته، لخطأ لم يقع، قابل هذا الصراع الغير منصف والراجح نحو الكفة الأنثوية، الصراع الآخر، بين الشر والشر، المتمثّل بالزوج نبيل والأخت عائشة، الأول بانتهاك حرمة العلاقة الزوجية المقدسة بالخيانة، وعائشة أيضاً التي اخترقت علاقة الأمومة المقدسة بالخيانة، فأودعت أمّها بيت المسنين، نقطة فلسفية راقية أدارتها الكاتبة بعبقرية سردية غير مسبوقة.

البناء الفني:

بنيت تلك الرواية بشكل واعٍ ومدروس ووعي بكل التفاصيل الفنية للروي، فقد جاءت الأمور الفنية متكاملة ومتسلسلة ومتفوقة عن المالوف، من عنوان، وصراع درامي متفوق، وعقدة (بل عقد متعددة استخدمتها الروائية لأغراض فنية أخرى) وصراعات مختلفة بين الخير والشر، والشر والشر، ومثّلت ذلك بشخصيات مدروسة، وكان الانفراج

المتعدد الأغراض، يفضي بنهاية، تقذفها الروائية بعبقرية على وعي المتلقي، فهي لم تعطِ نهاية واحدة، بل ألمحت لواحدة، وكلّفت المتلقي بأخريات، قد يضعها هو بعمقه الثقافي الذي أشارت لها هي بمقولة فلسفية بسطور، كانت الحبكة في الرواية بسيطة جدّاً كواقع إنساني، لكن الهدف من ذلك كان واضحاً، والإشارة نحو رمزية الخطأ والصواب في قضية العلاقات بين الناس، فهي إشكالية فلسفية، وليس أمر عادي يتخطاه المرء بعد القراءة، كان الموضوع شيقاً، وهو بؤرة برغماتيكية ستتمركز عليها الروائية عبير العطار، وهي استراتيجية الدفاع عن حقوق المرأة، وهذا حق مشروع رسمته تلك الكاتبة كطريق رصين لأدب رصين في جميع كتاباتها القصصية والروائية.

البناء الجمالي:

بهرني في قراءتي المتعمقة لتلك الرواية الموسومة (بانسيه)، رجاحة الجمال في الأسلوب الرمزي

العميق، فهي لم تساكن المباشرة مطلقاً، ولا تطيقها، لذلك تقذف جميع مفرداتها وعباراتها من خلف جدار التقريرية والقص، لذلك تأتي جملها بعمق أدبي متميز، لا يتحمل المباشرة، وقد امتاز أسلوبها بدراسة المفردات ودلالاتها ومدلولاتها ومفاهيمها الذرائعية بشكل عميق، يعرض طريقة في التعبير السردي الحقيقي، فكل عبارة منها تعطي احتمالات مؤجلة (Prospective Possibilities) بالرمز والمتابعة بالأثر التحليلي، وهذا النوع من الأسلوب يقر مقدرة التمكّن السردي للروائية عبير العطار، فالرواية ليست جنساً إخبارياً مباشراً، بل هي عمل أدبي يحمل فكراً و رؤية و قضية... كانت الصور الأدبية راقية جدّاً، وقد خضعت لمدرسة الجمال والفن للفن في صياغتها الأدبية، فقد أحسست في قسم منها بريشة الرسام وألوانه، وهي تبهر نواظري، وبأخرى بعزف منفرد بناي راعٍ حزين، في مسرح طبيعة خضراء، أمام شويهاته، فصورها الراقية والمدروسة تنقل المتلقي نحو رحاب الطبيعة

الساحرة وجمالها العذري، أما حواراتها، فكانت حوارات تنمّ عن دراية وتكثيف فلسفي قبل أن يكون تكثيفاً أدبياً ، كانت تلك الحوارات تحليلاً راقياً للشخصيات ونفسياتهم وميولهم الإنسانية.

برعت الروائية عبير العطار بالسرد الأدبي المدروس، ونوّعت السرد، واستخدمت كل أشكاله، القريبة والبعيدة، والخارجية والداخلية، كانت الرواي، ثمّ المتكلم، والمخاطب، وأعطت الاثنين حضوراً، ثم انتقلت نحو الخارج، فجعلت الغائب يسرد من داخل الرواية، ومن خارجها بضمائر الغياب، فالسرد من الداخل صاغته بوميض خلفي (Flashback)، وبحوار داخلي ومحاكاة ذهنية (Stream of Consciousness)، واستخدمت البديع والجمال، والبيان وجميع العناصر البلاغية من طباق وجناس وتورية، وتشابه واختلاف وتشخيص.... التدوير : استطاعت تلك الروائية الراقية عبير العطار، في أول محاولة روائية، إجادة فن التدوير الروائي، فقد نقلت السرد الداخلي من

حالة اللاوعي نحو الوعي مرتين، وجعلت أحداث الرواية متماسكة بشكل دائري، يكمل بعضه البعض.... عسى أن أكون وُفّقت في هذا التحليل.

obeikan.com